JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م /١٤٤٥هـ
العدد العشرون
(٦٩)- (٩٧)

جِينَالوجِيا الأَنْسَاق الثقَافِيَّة فِي شِعْرِ أَغربةِ العَرَبِ الجَاْهِلِيَّةِ "عَنتَرَةُ بْنُ شدَّادٍ أَنموذجاً تطبيقيَّاً"

م.م هيثم عبد الحسين مريوش
وزارة التربيَّة / مديريَّة تربيَّة واسط
Alrbyyhythm68@gmail.com

المستخلص:

تقومُ فكّرةُ البحثِ عَلَى ركيزةٍ أَساسِيَّةٍ تتجلّى فِي تتبعِ الأَنساقِ الثقَافِيَّةِ لدى الشَّاْعِرِ عَنْتَرَةَ بنِ شدَّادٍ مِن أَجلِ بحثِ فاعليَّةِ النسقِ فِي تكوينِ المَنظومةِ الفكّريَّةِ، وعَلَى وفقِ قراءةٍ نسقيَّةٍ للتعَاملِ مع النصّ؛ بوصفِهِ حَامِلاً لجِيناتٍ ثقافيَّةٍ مؤثرةٍ فِي نصوصِهِ الشِّعْريَّةِ لا بدَّ مِن تفكِيكِها، كي يكونَ شِعْرُهُ مُعبّراً عَن ضروريَّاتٍ معرفِيَّةٍ، وليس مجردُ هامشٍ وصفِيٍّ للواقعِ، إذ مثّلَ خطابُ عَنْتَرَةَ الشِّعْريّ خطَابَاً ثقافِيَّاً فرديَّاً، ثُمَّ تطورَ هَذَا الخطابُ الثقَافِيُّ الَّذي تشكلتْ مِن خلالِه تحولاتُ الهُويَّةِ مِن العبُودِيَّةِ إِلى مرحلةِ تحقيقِ الاعترافِ القبلِيّ؛ ليصبحَ رمزاً مِن رموزِ القبِيلةِ، ومِنقذِها الأبرزَ، فتكمِنُ أهميةُ ذلكَ فِي الكشفِ عَن المضمراتِ النسقِيَّةِ مِن خلالِ فعلِ الحفرِ الَّتِي غدتْ تشكِيلاتُها الثقَافِيَّةُ الجمِيلةُ نابضةً للحياةِ.

الكلماتُ المفتاحية: جِينَالوجِيا، النَّسقُ، أغربةُ، نقّدّ، الثقَافةُ، عَنتَرَةٌ، الانتماءُ، السِّياقُ .

Genealogy of Cultural Patterns in The Poetry of Arab-foreigners in Pre-Islamic "Antarah Ibn Shaddad As an Applied Model"

Haitham Abd Al-Hussien Marioush
Ministry of Education / Wasit Education Directorate
Alrbyyhythm68@gmail.com

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م/١٤٤٥هـ

Abstract :

The idea of the research is based on a fundamental pillar that is evident in tracing the cultural patterns of the poet Antarah-bin-Shaddad in order to examine the effectiveness of the pattern in forming the intellectual system, according to a systematic reading of dealing with the text; As it contains influential cultural genes in its poetic texts that must be dismantled, in order for his poetry to express cognitive necessities, and not merely descriptive defects of reality, where the poetic discourse of Antara represented an individual cultural discourse, and then this cultural discourse developed, through which identity transformations were formed from slavery to the stage of achieving tribal recognition, to become a symbol of the tribe, and its most prominent savior, as the importance of this lies in revealing the systemic implications through the deeping activity, its beautiful cultural formations became vibrant with life.

Keywords:genealogy, patterns , foreigners , criticism, culture, Antara, belonging, context.

المقدمة :

تمثلتِ الجِينَالوجِيا عَلَى إنَّها ثيمَّةٌ أساسيَّةٌ فِي النقدِ الثقَافِيّ بْنُحوٍ عام، وأنسَاقه الثقَافِيّة بْنُحوٍ خاص، لأنَّ الدّراسَاْتِ الثقَافِيّة تؤدي وظيفتَها عِبر استعَارةِ المُصْطَلحاتِ والإجراءاتِ مِن مختلفِ فروعِ المعرفةِ مثل: علمِ الاجتماعِ، والانثروبولوجيا، وعلمِ النفسِ، واللسانيَّاتِ، والتأريخِ، والفلسفةِ وغيرها, فضلاً عَن نظرياتِ الأَدَبِ ونقّده, وذلكَ؛ لأنَّ الدرّاسَاْتِ الثقَافِيَّةَ ليستْ نظاماً؛ وإنَّما هِيَ محاولاتٌ عقليَّةٌ مستمرةٌ ومختلفةٌ، تقوم عَلَى مسائلَ عديدةٍ متجسرةٍ فِي أغلبِ الممارساتِ الاجتمَاْعِيَّةِ واللُّغُويَّةِ والثقَافِيّةِ, لذلكَ استعارَ النقّدُ الثقَافِيُّ ... مُصْطَلحِ(الجِينَالوجِيا) ووظفَه للكشفِ عَن المضمراتِ النَّسقيَّةِ وجدلَ المراوحةِ بين المِنطوقِ الجَمَاْليّ والكامِنِ الثقَافِيّ مِن خلالِ فعلِ الحفرِ.**(بعلي،٢٠٠٧م:١٩)**.

اجمعتْ أغلبُ الدرّاسَاْتِ النقّديَّةِ المعاصرةِ عَلَى أَهَمّيةِ البحثِ الجِينالوجيّ فِي العلومِ الإنسَاْنِيَّة؛ بوصفِه الطريقَ الَّذِي يكمِنُ فِي تقويضِ الميتافِيزيقا الَّتِي تظهرُ فِي وصفِها للواقعِ الإنسَاْنيّ, بوصفِه واقعاً يتشكّلُ مِن الصراعاتِ والمصالحِ, ومِن ثَمَّ الهِيَمنةِ أو السيطرةِ عَلَى الآخرِ والرغبةِ فِي التملكِ, إذ لا مجالَ للقفزِ عَلَى هَذَاْ الواقعِ مِن خلالِ إنشاءِ مفاهِيَمَ مجردةٍ تنشئ عالماً ينوبُ عَن العالمِ الواقعيّ, عَالمٌ تنتفِي فِيه الصراعَاتُ والمصالحُ، فضلاً عَن ذلكَ أنَّ الجنيالوجيا عَلَى خلاف الميتافِيزيقا, لاتهتمُ

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م /١٤٤٥هـ

بالبحثِ فِي الأَصلِ الأَوَّلِ الَّذِي صدرتْ عَنه الموجوداتُ, بوصفِه الَّذِي يحددُها, والَّذِي يعطيها نمطاً مِن الوجودِ تتشكلُ مِنه هويتُها الثابتةُ **(فوكو، ١٩٨٨م: ٥٣)**، وعَلَى أساسِ ذلكَ يمكنُ القولُ: إنَّ ملامحَ المُصْطَلَحِ الجنيالوجيّ اتسمتِ بالوضوحِ إبَّان القرنِ الثالثِ عشر وهو " مشتقٌ مِن الكلمةِ اللاتينيَّةِ (Genealogie) المِنحدرةِ مِن الكلمةِ الاغريقيَّةِ (Genealogos) ويعَني الشقُّ الأَوَّلُ (Ge nea) الأَصلَ، أَمَّا الشقُّ الآخرُ (ogos) فيعَني العلمَ أيّ علمُ الأصولِ وتعدادِها" **(مصطفى، ٢٠٠٩م: ١٥٧)**، ويمكنُ عدُّ الجِينَالوجِيا نظرةً شموليَّةً مِن حيثُ كوّنُها تحليليَّةً للواقعِ الثقَافِيّ والاجتماعيّ، فالشِّعْرُ الجَاهِلِيُّ تتعدد قراءاتُهُ عَلَى وفقِ الذاتِ القارئةِ له، إذ مع ظهورِ علومٍ جديدةٍ بدأتْ هذهِ القراءاتُ تعيدُ صياغةَ مفاهِيَمَ النصّ القَديمِ عَلَى وفقِ رؤيةٍ نقّديَّةٍ جديدةٍ مِن خلالِ تفحصِ الموروثِ الثقَافِيّ لكُلّ نصّ عَلَى أَسَاسِ أنَّه ليس بُنًى لُّغُويَّةٍ وجَمَالِيَّةٍ، بل هِيَ نصوصٌ ثقَافِيّةٌ بامتيازٍ؛ تتضمنُ مضمراتٍ خِطَابيَّةً وأنساقَ ومرجعياتٍ ثقَافِيّةً أَدَبيَّةً تتوارى خلفَ التحبيكِ الجَمَالِيّ لتلكَ النصوصِ، لأنَّ النصَّ الثقَافِيَّ هو محصلةٌ لسلسلةِ إجراءاتٍ سابقةٍ لا بدَّ مِن التعاملِ معها عَلَى وفقِ قراءةٍ نسقيَّةٍ تتعاملُ مع النصّ بوصفِه حاملاً لجيناتٍ ثقَافِيّةٍ مؤثرةٍ، فعَلَى النَّاقِدِ تفكيكها لكي يكونَ الخِطَابُ مُعبّراً عَن ضروريَاتٍ معرفِيَّةٍ.

إذن النصُّ الجَاهِلِيُّ ثابتٌ وقراءاتُه متعددةٌ، وهَذَا لا يمكنُ لأيّ قراءةٍ مهما بلغتْ قَدرتُها ومعطياتُها أن تدعيَ الإحاطةَ المطلقةَ بالنصّ، وأنَّ أبرزَ ما اشتملَ عليهِ النَّسقُ الثقَافِيُّ فِي ذلكَ العصرِ الَّذِي استجلبَ الشّعْراءُ صورَ الإبداعِ عبرَه، هو ميدانُ دراستِنا، (شِّعْرُ أَغربةِ العَرَبِ الجاهليين)، إذ مثّلَ محطةً ثقَافِيّةً وأَدَبيَّةً لمرحلةٍ مِن مراحلِ التراثِ العَرَبيّ قبلَ الإسلامِ، فتأتِي أَهَمّيتُهُ فِي إطارِ الاحتفاءِ بتجربةِ (عَنتَرَة بْنُ شدَّادٍ) الَّذِي مارسَ دورَه فِي البحثِ عَن الاعترافِ الوجُودي لجعلِ حياتُه ذاتَ مغزى عَلَى وفقِ ما يفصحُ عمَّا بداخلِهِ، متخذاً مِن الشجاعةِ، والقوةِ، والاقدامِ، بوصلةً تحرَّكُ الارتسامَ الثقَافِيَّ فِي بُنيةِ نصوصِهِ، تنسجمُ مع رؤيتِه ومقصدِيتِه الَّتِي سلكَ بها طريقاً مختلفاً عَن الصعاليكِ الذين خرجوا عَن أقوامِهم، ضارباً بذلك أروعَ الأَمثلةِ فِي حبِّ قومِهِ ومجتمعِهِ.

أَوَّلاً. النقّدُ الثقَافِيُّ: المُصْطَلَحُ والآفاقُ النقّديَّةُ:

عَلَى ضوءِ مِنجزَاتِ النقّدِ الغربيّ عرفَ النقّدُ العَرَبيُّ المُعاصرُ مع نهَاياتِ القرنِ الماضي انفتاحاً عَلَى جملةٍ مِن التوجهاتِ النقّديَّةِ الَّتِي تحاولُ تجَاوزَ المِنجزِ البْنُيويّ, وذلك أثرَ ظهورِ مرحلةٍ جديدةٍ أُطلِقَ عليها نقّدُ ما بعد البْنُيويَّةِ, فانبثقَ النقّدُ الثقَافِيُّ "مستبدلاً البْنُيةَ الأَدَبيَّةَ أو الفنيَّةَ المِنغلقةَ عَلَى نفسِها فِي حالاتِ الإبداعِ المتباينةِ الأشكالِ، والأَنواعِ بالبْنُيةِ المفتوحةِ عَلَى ثقافتِها المتفاعلةِ معها"،

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م /١٤٤٥هـ

(عصفور، ٢٠٠٣م: ١٥)، وبذلكَ فهو يفتحُ الأفقَ واسعاً أَمَّامَ النصّ, ليقَدمَ النصَّ بعده نصّاً ثقَافِيّاً بجدارةٍ, أخذَ امتدادَه مِن مفاهِيَمِ الثقافةِ العامّةِ ثُمَّ تخصصَ مفهومُ الثقافةِ فِي العلومِ الإنسَانْيَّةِ ولا سيما فِي النقّد الأَدَبيّ, إذ ارتبطَ النقّدُ الثقَافِيُّ فِي بْنُيتِه المفهوميَّةِ بالثقافةِ الَّتِي تعَني العموميَّةَ والاهتمامَ بْنُشاطِ الإنسَانْ, ضمِنَ أزمنةٍ متعددةٍ تتراوحُ بين الماضِي والحاضِرِ والمستقبلِ، ووفقَ ميادينٍ مختلفةٍ كالسِياسةِ، والاقتصادِ، والتأريخِ، والدينِ. **(التميمِيّ، والشجيريّ ،٢٠١٤م:١٥٩)**

ومِن مِنطلقِ طموحاتِ النقّدِ الثقَافِيّ فِي تظافرِ آلياتِ إنتاجِ النصوصِ ومؤثراتِها المختلفةِ مِن مِنظوراتٍ مختلفةٍ، ارتبطتْ بمفاهِيَمَ وآلياتِ النقّدِ الثقَافِيّ، والدرّاسَاْتِ الثقَافِيّةِ كالتاريخانيَّةِ والنسويَّةِ والجنوسةِ والدّراسَاْتِ الانثروبولوجيَّة كالعرقيَّةِ، والطبقةِ والأَدَبِ الشعبيّ وما بعد الكولنياليةِ، عُدِتِ التاريخانيَّةُ الجديدةُ " إحدى الافرازاتِ النقّديَّةِ لمرحلةِ ما بعد البْنُيويَّةِ, وفِيها يجتمعُ العديدُ مِن العَناصرِ الَّتِي هِيَمِنتْ عَلَى اتجاهاتٍ نقّديَّةٍ أخرى كالماركسيَّةِ والتفكيكيَّةِ, إضافةً إِلَى ما توصلتْ إليه أبحاثُ الانثروبولوجيا الثقَافِيّةِ وغيرُها، تجتمعُ هذِهِ العَناصرُ لتدعمَ التاريخانيَّةِ الجديدةِ فِي سعيِها إِلَى قراءةِ النصّ الأَدَبيّ فِي إطارِهِ التأريخيّ والثقَافِيّ، حيثُ تؤثرُ الأيديولوجيا وصراعُ القوى الاجتمَاْعِيَّةِ فِي تشكّيلِ النصّ, وحيثُ تتغيرُ الدلالاتُ وتتضاربُ حسبَ المتغيراتِ التأريخيَّةِ والثقَافِيّةِ" **(الرويليّ، ٢٠٠٠ م:٤٥)**، إذ أفرزتِ الحداثةُ مِناهجَ جديدةً تقومُ بقراءاتٍ جديدةٍ للنصوصِ الأَدَبيَّةِ، رغبةً فِي البحثِ عَن المسمياتِ الأخرى الَّتِي تدرسُ النصوصَ فِي ظروفِ نشأتها والسِّياقاتِ الخارجيّةِ لها.

يعدُّ النقّدُ الثقَافِيُّ نشاطاً فكريّاً ومعرفِيّاً, حيثُ يساعدُ عَلَى فكِّ شفراتِ النصوصِ الأَدَبيَّةِ, ممَّا يحققُ شِّعْرِيَّةَ النَّسقِ المهِيَمِنِ عَلَى كُلّ خِطَاْبٍ أَدَبيّ، فِيضمِنُ فاعليَّةَ النصّ الأَدَبيّ (الرسَالة), كما يكسبُه دينامِيَّةُ وحركِيَّةُ, تتقبلُ تعددَ القراءاتِ والتأويلاتِ, لذا أصبح مقياسًا لنجاحِ النصّ الأَدَبيّ, وهَذَاْ ما ينطبقُ عَلَى النصّ الشِّعْرِيّ الجَاْهِلِيّ, فهو يحمّلُ فِي طياتِه الكثيرَ مِن الدلالاتِ والأسرارِ, الَّتِي تجعلُه فِي حاجةٍ لقراءةٍ جديدةٍ, تظهرُ ما يضمرُه مِن أنساقٍ ثقَافِيّةٍ, ممَّا يعكسُ المخزونُ الثقَافِيُّ للشاعرِ الجَاْهِلِيّ, اعتمادُ عَلَى مقولةِ (الشِّعْرِ ديوانِ العَرَبِ), أيّ مخزونِ تأريخِهم, وعاداتِهم, وحياتِهم **(محمد،٢٠٢١م:٩١١)**، أيّ مستودعِهم الثقَافِيّ؛ ولهَذَاْ فالنقّدُ الثقَافِيُّ لا يرصدُ الظاهرةَ آنياً بل ينقبُ عَلَى جذورِها، ويكشفُ عَن ارتباطاتِها الفكريَّةِ، والسياسِيَّةِ، والاجتمَاْعِيَّةِ، والدينيَّةِ، والاقتصاديَّةِ، والتاريخيَّةِ، وما إِلَى ذلكَ لا يقفُ عَند حدودِ المعالجةِ أو النظرةِ السطحيَّةِ الَّتِي تمسُ ظاهرةَ الأشياءِ؛ بل يوغلُ فِي تحليلِ الظاهرةِ واستخراجِ كوامِنها، والكشفِ عَن أنساقِها الخفيةِ، فلا يستوقفُه جَمَاْلُ

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م /١٤٤٥هـ

الظاهرةِ بقَدرِ ما يسعى إلَى اكتناه دواخلِها، وسيراغوارها والوصولِ إلَى ما يستقرُ فِيها.**(التميمِيّ، والشجيرِيّ،٢٠١٤م:١٦١)**

وتتجلّى أَهَمّيةُ النقدِ الثقَافِيّ, بأنَّه "فرعٌ مِن فروعِ النقدِ النصوصيّ, ومِن ثَمَّ فهو أحدُ علومُ اللُّغَةِ وعلومُ الألسنيَّةِ المعَني بْنقدِ الأَنسَاقِ المضمرةِ, الَّتِي ينطوي عليها الخِطَابُ الثقَافِيُّ بكُلِّ تجلياتِهِ وأنماطِهِ وصيغِهِ, وما هو غيرُ رسمي وغيرُ مؤسساتِي وما هو كذلكَ سواءٌ بسواءٍ، لهَذَا معَني بكشفِ لا الجَمَالْيّ, كما هو شأنُ النقدِ الأَدَبيّ, وإنَّما همَّه كشفُ المخبوءِ مِن تحتِ أقنعةِ البلاغيّ الجَمَالْيّ" **(بعلي،٢٠١١م:١٥٦)**, إذ تسعى القراءةُ الثقَافِيّةُ إِلَى إعادةِ قراءةِ النصوصِ الأَدَبيَّةِ فِي ضوءِ سياقاتِها التأريخيَّةِ والثقَافِيّةِ, حيثُ تتضمِنُ النصوصُ فِي بْنُاها أنساقاً مضمرةً ومخاتلةً قادرةً عَلَى المرواغةِ والتقنعِ, ولا يمكنُ كشفُها أو كشفُ دلالاتِها الناميَّةِ فِي المِنجزِ الأَدَبيّ إلَّا بإنجازِ تصورٍ كُلِي حولَ طبيعةِ البْنُى الثقَافِيّةِ للمجتمعِ **(عليمات،٢٠٠٩م:١١)**، فضلاً عَن ذلك فالنصُّ الأَدَبيُّ عَلَى وفقِ هَذَا النوعِ مِن القراءةِ يغدوُ (دالاً) عَلَى الثقافةِ ويستمدُ قوتَه بحلولِ المدلولِ وحضورِهِ فِيه, وهو كذلكَ مادةٌ ثقَافِيّةٌ تختزلُ السلوكياتِ والممارساتِ، والمفاهِيمَ الثقَافِيّةَ السائدةَ فِي عصرِ المبدعِ، والعصورِ السابقةِ إِلَى لُغَةٍ مراوغةٍ لا تستقرُ عَلَى معَنى**(عبد الفتاح، ٢٠٠٩م:١٥)**، وإنَّ هذهِ المرجعيَّاتِ بقَدرِ ما هِيَ أصولٌ ومصادرُ للنقدِ الثقَافِيّ، فهِيَ فِي الوقتِ نفسِهِ مداخلاتٌ ومقارباتٌ يلجأُ إليها النَّاقَدُ الثقَافِيُّ أثناءَ ممارستِهِ التطبيقيةِ؛ مركّزاً عَلَى أنظمةِ الخِطَابِ والإفصاحِ فِي النصّ.

ثانياً ـ النَّسقُ الثقَافِيُّ: إضاءاتٌ فِي المُصْطَلحِ والمفهومِ:

الدلالةُ اللُّغُويَّةُ:

اختلفتْ لفظةُ النَّسقِ فِي أغلبِ المعجماتِ العَرَبيَّةِ، فذهبَ الخليلُ بْنُ أحمدَ الفراهِيَدِيّ (ت١٧٥هـ) بأنَّه " النَّسقُ, مِن كُلِّ شَيْءٍ, مَا كَانَ عَلَى نِظَامٍ وَاْحِدٍ عَامٍ فِي الأَشيَاءِ, ونَّسقتُهُ تنَّسِيْقاً, وتقُوْلُ انتسقتُ هذهِ الأشيَاءَ بَعْضَها إِلَى بَعْضٍ أيّ تنسقتْ" **(الفراهِيَدِيّ، ٢٠٠٣م:مادة نسق)**, وفِي لسانِ العَرَبِ لابْنِ مِنظور(ت٧١١هـ) جاءَ: النَّسقُ "مِن كُلِّ شَيْءٍ مَا كَانَ عَلَى طريقةٍ نِظَامٍ واْحدٍ عَامٍ فِي الأَشيَاءِ, وقَد نسقَهُ تنسيقاً نظمَهُ عَلَى السواءِ، وانتسقَ هو وتناسقٌ, والاسمُ النَّسقُ وقَد انتسقتْ هذهِ الأشياءُ بعضَها إِلَى بعض أيّ تنسقتْ, والتنسيقُ التنظيمُ, والنَّسقُ: مَا جاء مِن كلامٍ عَلَى نِظَامٍ وَاْحِدٍ, ويقال: رأيتُ نسقاً مِن الرجَالِ والمتاعِ أيّ بَعْضِها إِلَى جنبِ بَعْضٍ, والنَّسقُ, بالتسكينِ: مصدرٌ تنسقتُ الكلامَ إذا عطفتْ بَعْضَه عَلَى بَعْضٍ " **(ابْنُ مِنظور، ٢٠٠٥م:مادة نسق)**, بينما اختلفتْ دلالتُه عَند ابْنِ فارس (ت٣٩٥هـ) فيقول: " النُونُ والسِينُ والقَافُ أَصلٌ صحِيحٌ يدلُّ عَلَى التتَابعِ فِي الشَيْءِ, وَكَلامٌ

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م /١٤٤٥هـ

نَسَقٌ: جَاءَ عَلَى نِظَامٍ وَاْحِدٍ قَد عطفَ بَعْضُه عَلَى بَعْضِهِ, وأصلهُ قولُهم: ثغرٌ نسقٌ: إذَاْ كَاْنَت الأسنَانُ مُتَنَاْسِقَة مُتَسَاْوِية, وَخَرزٌ نَسَقٌ: مِنظم" **(ابْنُ فارس، (د- ت):مادة نسق)**), وفِي لسانِ العَرَبِ لابْنِ مِنظور(ت٧١١هـ) جاءَ: النَّسقُ "مِن كُلِّ شَيْءٍ مَاْ كَاْنَ عَلَى طريقةِ نِظَامٍ واْحدٍ عَاْمٍ فِي الأَشيَاْءِ, وقَد نسقَهُ تنسيقاُ نظمَهُ عَلَى السواءِ، وانتسقَ هو وتناسقٌ, والاسمُ النَّسقُ وقَد انتسقتْ هذهِ الأشياءُ بعضَها إِلَى بعض أيّ تنسقتْ, والتنسيقُ التنظيمُ, والنَّسقُ: مَا جاء مِن كلامٍ عَلَى نِظَاْمٍ وَاْحِدٍ, ويقال: رأيتُ نسقاً مِن الرجَالِ والمتاعِ أيّ بَعْضِها إِلَى جنبِ بَعْضٍ, والنَّسقُ, بالتسكينِ: مصدرٌ تنسقتُ الكلامَ إذا عطفتْ بَعْضَه عَلَى بَعْضٍ " **(ابْنُ مِنظور، ٢٠٠٥م:مادة نسق)**, بينما اختلفتْ دلالتُه عَند ابْنِ فارس (ت٣٩٥هـ) فِيقول: " النُونُ والسِينُ والقَافُ أَصلٌ صحِيحٌ يدلُّ عَلَى التتَابعِ فِي الشَيْءِ, وَكَلاَمٌ نَسَقٌ: جَاءَ عَلَى نِظَاْمٍ وَاْحِدٍ قَد عطفَ بَعْضُه عَلَى بَعْضِهِ, وأصلهُ قولُهم: ثغرٌ نسقٌ: إذَاْ كَاْنَت الأسنَانُ مُتَنَاْسِقَة مُتَسَاْوِية, وَخَرزٌ نَسَقٌ: مِنظم" **(ابْنُ فارس، (د- ت):مادة نسق)**

الدلالة الأصطلاحِيَّة:

إنَّ مفهومَ الثقَافةَ عامٌ, واسعُ النطاقِ, مركبٌ, تراكمِيٌّ, ومعقَدٌ, أَيّ يتعذرُ عَلَى التعرِيفِ الجَامِعِ المَانِعِ, فالثقافةُ واحدةٌ مِن مراحلِ التقَدمِ فِي حضارةٍ ما, أيَّ تختلفُ باختلافِ اللُّغَةِ, العاداتُ, والتقاليدُ الموروثةُ, أيَّ تختلفُ باختلافِ الزمانِ, والمكانِ, والشخصِيَّةِ, فهِيَ تحمّلُ دلالاتٍ مختلفةٍ؛ لأنَّها قادرةٌ عَلَى الإلمامِ مِن كُلِّ علمٍ بطرفٍ , أيَّ تحصيلٍ متنوعٍ لألوانِ المعرفةِ, كما أنَّها تختلفُ مِن مفكرٍ لآخرَ, تبعا لخلفِياتِه العرفِيةِ والثقَاْفِيَةِ؛ لذا نتعاملُ مع الثقافةِ مِن خلالِ المؤسسةِ الخاصةِ بها, أَيّ بجعلَها قاصرةً عَلَى المجتمعِ الَّذِي انتجَها, هَذَاْ عَن مفهومها العام, أَمَّا الخاصُ, فهو دخولُ الثقافةِ مجالُ النقَدِ للدّرِاسَاْتِ الأَدَبِيَّةِ, ممَّا يجعلُها تلعبُ دوراً فاعلاً فِي خدمةِ النصِّ الأَدَبِيّ, لأنَّها ترقيةٌ للعقلِ, وتنميةٌ للذوقِ الأَدَبيّ **(محمد،٢٠٢١م:٩١٢)**, وقَد واجهَ الباحثون صعوبةً كبرى فِي إمكانيَّةِ وضعِ تعريفٍ لمفهومِ الثقافةِ, وعَلَى كثرةِ التعريفاتِ الَّتِي قُيد بها مُصْطَلَحُ الثقافةُ, فأنَّه لم يكنْ هناكَ تعريفٌ محددٌ للثقافةِ, إذ إنَّها نظامٌ له دلالتُهُ المستقلةُ, فكان لا بدَّ مِن أن يتعذرَ تعريفُها, لاختلافِ ثقافةِ المجتمعِ الواحدِ مِن غيره **(الرويليّ،٢٠٠٠م:١٤٠)**، إذ إنَّ الدلالةَ الثقَاْفِيَةَ ليستْ مصنوعةً مِن المؤلفِ، بل مثبتةً، ومِنغرسةً فِي الخِطَاْبِ، فالثقافةُ فِي مجتمعٍ ما، هِيَ الَّتِي تُؤسسُ تقاليدَه الفنيَّةَ ومعاييرَه الجَمَاْلِيَّةَ, وكذا مقولاتِه الذهنيَّةِ, ثُمَّ تتولى نشرَها وترويجَها؛ لتُصبحَ بعد ذلكَ قواعدٌ معتمدةٌ فِي

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م/١٤٤٥هـ

إنتاجِ النصوصِ وتلقيها؛ لذلك تشكّلُ روافدًا عديدةً فِي تكريسِ بعضِ المظاهرِ السلوكِيَّةِ، والاجتمَاْعِيَّةِ، والفكريَّةِ الَّتِي تسأَهَمّ فِي النمطِيَّةِ الفكريَّةِ.

قامَ النقّدُ الثقَاْفِيُّ عَلَى فكرةٍ رئيسةٍ هِيَ نقّدُ الأَنْسَاْقِ الثقَاْفِيّةِ المتضمِنةِ للخِطَاْباتِ الأَدبيَّةِ والثقَاْفِيّةِ عموماً, وهِيَ أنساقٌ متخفِيةٌ خلفَ أنساقٍ أخرى ظاهرةً, والأَنْسَاْقُ فِي مفهومِ النقّدِ الثقَاْفِيّ ليستْ أنسَاقاً لغُوِيَّاً ولا أَنسَاقاً أَدبيَّةً, وإنَّما هِيَ أنساقٌ مضمونيَّةٌ ثقَاْفِيّةٌ مضمرةٌ فِي الخِطَاْبِ, إذ تستبطنَها أنسَاقٌ ظاهِرةٌ، وكشفُ تلكَ الأَنْسَاْقِ الثقَاْفِيّةِ المضمرةِ به حاجةٌ إِلَى قراءةٍ ثقَاْفِيّةٍ تستندُ إِلَى معرفةٍ دقيقةٍ واوسعةٌ بثقافةِ الخِطَاْبِ الثقَاْفِيّ المدروسِ ونواحيها المتعددةِ, فضلاً عَن الاعتمادِ بشكّلٍ كبيرٍ عَلَى الجهدِ التأويليّ والاستنباطيّ للكشفِ عَن تلكَ الأَنْسَاْقِ الثقَاْفِيّةِ المضمرةِ, **(التميمي، والشجيري، ٢٠١٤م:٣١٤)**، ومِن خلالِ ذلكَ يُعدُّ النَّسقُ الثقَاْفِيُّ مفهُوماً مركزِيَّاً فِي مجالِ النقّدِ الثقَاْفِيّ ويعودُ تشكّلَه نتيجةَ حقلين معرفِين هما: النقّدُ الحديثُ والانتربولوجيا، فالأَنْسَاْقُ الثقَاْفِيّةُ هِيَ " قوانينُ تشريعاتٍ أرضيةٍ مِن صنعِ الإنسَاْنِ, فِي مقابلِ التعاليمِ السمَاوِيَّةِ الَّتِي أنزلَها اللهُ تعالَى فِي الأَديانِ, وضعَها الإنسَاْنُ لضبطِ نفسِهِ، ولتصريفِ أَمورِهِ فِي الحياةِ، وهِيَ تُعبّرُ عَن تصورِ الإنسَاْنِ القَديمِ لما ينبغِي أن تكونَ عَلَيه الحياةُ, ودراسةُ هَذهِ الأَنْسَاْقُ فلسفِياً, سوفَ يفسّرُ لنا العديدَ مِن اشكاليَّاتِ الإنسَاْنِ مع الطبيعةِ، والدينِ، والحياةِ، وحتى مع نفسِهِ, والأَنْسَاْقُ الثقَاْفِيّةُ قابلةٌ للتطورِ شأنُها شأنَ كُلّ عَناصرِ الحياةِ".**(عبد الفتاح، ٢٠١٠م:١٥١)**، فالنَّسقُ الثقَاْفِيُّ له قابليةٌ عَلَى التأثيرِ فِي المجتمعِ الواحدِ المتعددِ الطبقاتِ والأَديانِ، بوسَاطةِ اختراقِه الفكرِيّ والمعرفِيّ، فالتنوعُ الثقَاْفِيُّ يسهمُ فِي عمليَّةِ الانسجامِ المعرفِيّ، فضلاً عَن توافقِ أفرادِه فِي بعضِ الأَحيانِ، عَندما يكونُ التراكمُ المعرفِيُّ، والمخزونُ الثقَاْفِيُّ واحدًا، يشتركُ فِيه جميعِ أفرادِ المجتمعِ.

إذن تقف إِلَى جانبِ النقّدِ الثقَاْفِيّ ظاهرةُ الأَنْسَاْقِ الثقَاْفِيّةِ الَّتِي تبنّاها وآمنَ بها كثيرٌ مِن النقادِ والدارسين؛ لذلكَ تحتلُ مكانةً أَسَاسِيَّةً فِي لسانِيَّاتِ الخِطَاْبِ والنصّ, ويمكنُ تعريفُها بأَنَّها "ما يتولدُ عَن تدرجِ الجزيئاتِ سياقٍ ما, أو ما يتولدُ عَن حركةِ العلاقةِ بين العَناصرِ المكوّنةِ للبُنْيةِ, إلَّا إنَّ لهذهِ الحركةِ نظاماً معيناً يمكنُ ملاحظتُهُ وكشّفُه, كأَن نقولُ: إنَّ لهذه الروايةِ نسقُها الَّذِي يولدُهُ توالي الأَفعالِ فِيها, أو إنَّ هَذهِ العَناصرِ المكوّنةِ لهذهِ اللوحةِ مِن خيوطٍ وألوانٍ تتألفُ عَلَى وفقِ نسقٍ خاصٍ بها" (بوقرة، ٢٠٠٦م:١٣٩), وتطرقُ لها نيكلاسُ لومان, محَاولاً ربطَها بواقعِ الإنسَاْنِ الاجتمَاعِيّ، إذ يقولُ: " كيف يمكنُ أن نتمثلَ جسمَ الكائنِ بشكّلٍ مِنفصلٍ عَن البيئةِ المحيطةِ, ويكونُ مِنغلقاً رغمَ حاجتِه لكُلّ ما يجري ببيئتِهِ, لكِي يتمكنَ مِن الاستمرارِ فِي الحياةِ" (لومان، ٢٠١٠م:٧)

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م/١٤٤٥هـ

أجتمعتْ أغلبُ الدّراسَاْتِ النقّديَّةِ المعاصرةِ عَلَى أَهَمّيةِ النَّسقِ الثقَاْفِيّ؛ بوصفِه طريقةً مُعبّرةً عَن توحيدِ النظامِ فِي العَناصرِ المتفاعلةِ المشكّلةِ للنسيجِ الشّعْرِيّ، وتأويله مِن حيثُ هو بحثٌ عَن ممكناتٍ أفضلَ للحياةِ، يحتاجُ فهماً عميقاً، ويوضحُ ماهِيَته، ويحددُ دورَهُ (الشرع،٢٠٠٩م:١٧)، كما تنبثقُ مفاداتُ النَّسقِ مِن حيثُ أنَّه " نظامٌ ينطوي عَلَى اسقلالٍ ذاتِيّ يُشكّلُ كلاً موحداً، وتقترنُ كُلّيته بآنيةً علاقاته الَّتِي لا قيمةَ للأجزاءِ خارجها، ولكُلّ أثرٍ إبداعِيّ نسقٌ يميزُه عَن أثرٍ إبداعِيّ آخرَ" (بهنسي،١٩٧٠م:١٨٧).

وتأتي أَهَمّيةُ الأَنْسَاْقِ الثقَاْفِيّةِ مِن حيثُ كوّنها " مجموعةٌ .مِن القضايا المرتبةِ فِي نظامٍ معينٍ بعضَها مقَدماتُ لا يبرهنُ عليها فِي النَّسقِ ذاتِهِ، وبعضُها الآخرَ يكونُ نتائجَ مستنبطةٍ مِن المقَدماتِ" **(وهبة،٢٠٠٥م:٦٤٥)**، وقَد شكّلَ فِي النصّ الأَدَبِيّ ركيزةً أَسَاسِيَّةً فِي إيصالِ الأفكارِ للجملةِ الثقَاْفِيّةِ الَّتِي تنعكسُ عَلَى التحليلِ الثقَاْفِيّ، حيثُ تولدُه تلكَ الأَنْسَاْقُ، وعَلَى وفقِ ذلكَ " فإنَّ الدلالةَ النَّسقيَّةَ فيه سوفَ تكونُ هِيَ الأَصلُ النظرِيُّ للكشفِ والتأويلِ, مع التسليمِ بِوجودِ الدلالاتِ الأخرى, الصريحُ مِنها والضمِنيُّ, والتسليمُ بالقيمةِ الفنيَّةِ، وغيرُها مِن القيمِ النصوصِيَّةِ الَّتِي تلغيها الدلالةُ النَّسقيَّةُ, وليستْ بديلاً عَنها, بل يمكنُ القولُ: إنَّ هذهِ الدلالاتِ وما يتلبسُها مِن قيمٍ جَمَاْلِيَّةٍ تؤدي دوراً مهمًا, إذ هِيَ أقنعةٌ تختبئُ مِن تحتِها الأَنْسَاْقُ ويتوسلُ بِها, لعملِ عملِها الترويضِيّ, الَّذِي ينتظرُ مِن هَذَاْ النقّدِ أن يكشفَه ". (الغذامِيّ،٢٠٠١م:٧٨)، بالإضافةِ إلى ذلكَ تكمنُ أهميةُ كشفِ النسّقِ الثقَافيّ في سياقِها العامِ الَّذِي أنتجَها، لأنَّه يُعنى بدراسةِ الجوانبِ الثقَاْفِيَّةِ والاجتمَاعِيَّةِ، فضلاً عَن ذلكِ الثقَافةِ الَّتِي تحّملَها الأنسَّاقُ وهِي ثقَافةُ المبدعِ وثقَافةُ مجتمعِهِ.

ثالثاً شِعْراءُ أغربةِ العَرَبِ اجاهليين مِن وجهةِ نظرِ التحليلِ الثقَاْفِيّ:

اقترنَ مفهومُ (أَغربةِ) بالدلالةِ المعجمِيَّةِ المأخوذةِ مِن اسمِ الطَائرِ البغيضِ المشؤومِ، والمعروفِ فِي لونهِ الأَسودِ وهو (الغرابُ) بكُلّ ما يوحيهِ مِن دلالاتٍ غيرِ محببةٍ عَند العَرَبِ، إذ عرفَهم صاحبُ لسانِ العَرَبِ " أَغربةُ العَرَبِ: سوّدانهم" (ابْنُ مِنظور،٢٠٠٥م:مادة غُرب)، فشكّلتِ القبيلةُ فِي العصرِ الجَاْهِلِيّ ركيزةً مهمةً فِي ثقافةِ المجتمعِ الجَاْهِلِيّ، وجزءاً لا يتجزأُ مِن أنساقِهِ الثقَاْفِيّةِ، متخذةً لها أطاراً تمثلُ فِي وحدةِ الدمِ والمضمونِ الأخلاقِيّ، فأصبحَ الفردُ فِي قبيلتِهِ يحققُ مشروعَه الإنسَاْنِيّ، ولكن هَذَاْ مرهونٌ بأنْ يكونَ المِنتمون إليها مِن أبٍ وأمٍ لا تشوبهُم شائبةٌ؛ لأَنَّ كانتْ هنالكَ فئةٌ فِي الجَاهلِيَّةِ ليسوا مِن أبْنُائها، وهؤلاءِ هم "كالعبيدِ الَّذِين يتألفون مِن عَنصرين, عَنصرٌ عَرَبِيٌّ وهم أولئكَ الأسرى الَّذِين كانوا يقعون فِي أيدي القبِيلةِ فِي حروبِها مع القبائلِ الأخرى, وعَنصرٌ غيرُ عَرَبِيّ, وهم أَولئكَ

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م /١٤٤٥هـ

الرقيقُ الَّذِين كانوا يُجلَبون مِن البلادِ المُجَاورةِ للجزيرةِ العَرَبِيَّةِ" (حور، (د ـ ت):٢٣), فضلاً عَن ذلكَ العتقاءُ وهم مِن العَرَبِ الأَحرارِ الَّذِين لجأوا إِلَى القبيلةِ مِن القبائلِ الأخرى, وعاشوا فِي حياتِها, وطائفةُ الأغربةُ السودِ الذين حمّلوا جيناتِ أمهاتِهم الأَمَّاءِ السودِ، فانتقلَ إليهم السوادُ مِن أمهاتِهم فكانوا سبةً يُعيرُ بهم آباؤهم، **(حور، (د ـ ت):٢٣)**، ومِن هؤلاءِ الشّعْراءِ الأغربةِ، عَنتَرَةُ بْنُ شدَّادٍ العبسيّ، وخفاف بْنُ ندبة السلميّ، والسليك بْنُ سلكة، فكان اللونُ الأسودِ مقياساً أَسَاسِيًّا فِي تصنيفِهم الاجتمَاعِيّ، وهو أَسَاسٌ قَاصِرٌ ومجحفٌ جَائرٌ، فكانوا يعانون مِن صفاءِ نسبِهم، وعراقةِ أصلِهم، وشرفِ وجودِهم بين أبْنَاءِ القبِيلةِ، وهَذَا أَصبحَ ملمحاً ثقَافِيّاً كان له أثرٌ كبيرٌ فِي حياتِهم.

عُرِفتِ القصيدةُ الجَاهِلِيّةُ بأنَّها واقعيَّةٌ، أتجهتْ نحو الواقعِ فصورتهُ، وتحدثتْ عمَّا كان يدورُ فيه مِن أَحداثٍ وتوتراتٍ وقضايا شغلتِ الشَّاعِرُ الجَاهِلِيُّ وسيطرتْ عَلَى تفكيرِهِ وحسّهِ؛ لذلكَ أصبحَ الشَّاعِرُ بوتقةِ أنصهرتْ فِيها شتى ضروبِ الرؤى والمتغيراتِ الاجتمَاعِيّةِ، وتحولَ شِّعْرُه إِلَى قوةِ نفاذِه مِن الذاتِ الإِنسَانيَّةِ، تحررُها مِن ضغوطِ واقعِها الاجتمَاعِيّ بْنُظمِهِ وقيمِهِ الَّذِي عمّقَ الأَحسَاسَ بغربتِها؛ بسببِ فَقَدانِ التكيفِ بين أفرادِ المجتمعِ، وهَذَا جعلَ شِّعْرَهم بوصفِه ظاهرةً تأريخيَّةً فِي نقطةِ تتلاحمُ فِيها الأَنْسَاقُ والسّياقاتُ المتنوعةُ والمختلفةُ، وهَذهِ مهمةُ الشَّاعِرِ الَّذِي يمتلكُ وعياً تأمليًّا تنبثقُ عِبرها شِّعْريته، فِيأتي شِّعْرُه نتيجةَ تأملاتٍ اجتمَاعِيَّةٍ، وثقَافِيّةٍ، وفكريَّةٍ، وحضاريَّةٍ وسياسِيَّةٍ ودينِيَّةٍ؛ لأَنَّ الذاتَ الشَّاعِرةِ الراغبةِ فِي التعبيرِ عَن تجربتِها تحاولُ أن تفصحَ عَن الفعلِ الثقَافِيّ الَّتِي خرجَ مِن واقعِها الفعليّ.

إِنَّ الشَّاعِرَ ابْنَ بيئته، وإبداعَه الشِّعْرِيّ ما هو إِلَّا انعكاسٌ للمُوروثِ الثقَافِيّ فِي مجتمعِهِ، فعالمُ الشَّاعِرِ الجَاهِلِيّ فِي الحقيقةِ هو بْنَاءٌ ثقَافِيٌّ متعددُ الأَنْسَاقِ الجدليَّةِ؛ لذلكَ شِّعْرُه يولدُ مِن رحمِ بيئةٍ متغيرّةٍ متحركةٍ، " تفسحُ المجالَ فِي اختيارِ التجاربِ الَّتِي يُعبّرُ عَنها الشَّاعِرُ تعبيراً صَادِقاً نَابِضاً بِعمقِ الرؤيةِ؛ كي يصلَ فِي نهايةِ الأَمرِ إِلَى تحدٍ فرضته قسوةٌ نفسيَّةٌ، بما تحمّلَه مِن خصوصِيَّةٍ مغلقةٍ, فلم يعدْ هناكَ مفرٌ مِن تحمّلِ هذهِ القسوةِ, وهِيَ تُعبَّرُ عَن تجربةٍ تنفتحُ عَلَى حضورِ الواعِي، والمنسجمِ مع تنامِي المؤثراتِ الحسيَّةِ، والثقَافِيَّةِ، والاجتمَاعِيَّةِ، والحضاريَّةِ, الَّتِي يحسُّ بازائِها الشَّاعِرُ بأنَّه يقفُ فِي مواجهتِها إِلَى حدِّ الخوفِ مِن المجتمعِ ،والزمنِ، والحياةِ" (مروة، ١٩٧٢م :٣٥٠)

مثّلُ النَّسقِ الثقَافِيّ مرتكزاً أَسَاسِيًّا مِن مرتكزاتِ شِّعْرِ أغربةِ العَرَبِ الجاهليين، ولا سيما قصائدُ عَنتَرَةَ بْنِ شدَّادٍ؛ بوصفِه محوراً بْنَائيًّا فِي هيكلها الشِّعْرِيّ، إِذ إِنَّ دوافعَ المشاهداتِ اليوميَّةِ عَند شِّعْراءِ

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م/١٤٤٥هـ

الأَغربةِ لها قيمةٌ تحمّلُ مجموعةً مِن المفاهِيَمِ والرؤى، فضلاً عَن التكثيفِ الإيحائيّ الَّذِي أغنى دلالاتِ القصيدةِ الجَاْهِلِيّةِ بالإيحاءاتِ الخالقةِ لمدياتِ الجَمَاْلِ الثقَاْفِيّ، فهو يسترجعُ بِهَذهِ الدلالاتِ وعيهُ ومجاهداتُه الروحيَّةُ، لأَنَّها تعدُّ الرافدَ الأَسَاسِيَّ للشِّعْرِ، ولا يمكنُ تجاوزُها، أو تجاوزُ أشكالِها المتفاعلةِ مع الوجودِ والحياةِ، فطواعِيَّةُ الإلهامِ بمحضِ فطرتِه الشِّعْرِيَّةِ، تكونُ هِيَ الأَقدرُ عَلَى هَذَاْ الفهمِ، والأقربِ إِلَى صحةِ التعليلِ، الَّذِي تجيء به هذهِ المشاهداتِ فِي مجتمعٍ ينظرُ إِلَى حركةِ الحياةِ وتعاقبُها. **(محمود، ٢٠١٣م :٧٠)**

إِنَّ حدودَ تفسيرِ الأَسَاسِ الواقعِيّ لشِّعْرِ أَغربةِ العَرَبِ ما كان ليقفَ عَندَ التفسِيراتِ الفنيَّةِ والجَمَاْلِيَّةِ، وإِنَّما ذهبَ لأبعدَ مِن ذلكَ؛ ليكونَ البُعدُ الثقَاْفِيُّ حَاضِراً فِي تفسيرِها مِن خلالِ الربطِ بين معاناتِهم الذاتِيَّةِ، ومواقفِهم الرافضةِ لسننِ المجتمعِ الجَاْهِلِيّ الَّتِي سلبتهم الحريةُ، وهذهِ تكشفُها مدى قَدرةُ القارئِ فِي استعمالِ آليةَ التأويلِ، والغورِ فِي تلافِيفِ النصّ، سواءً تصدى لقراءةِ نصٍّ معاصرٍ، أَم نصّ قَديمٍ قراءةً ثقَاْفِيّةً، وإِذا كان " القارئُ فِي قراءتِه الثقَاْفِيّةِ للنصوصِ الحديثةِ أو المعاصرةِ يحتاجُ إِلَى وعي بالمؤلفِ والثقَافةِ واللُّغَةِ، وهِيَ هنا مشتركةٌ، أيّ أَنَّ شفرةَ النصّ الثقَاْفِيّةِ موافقةٌ لمرجعِياتِ القارئِ الثقَاْفِيّةِ، فلأَنّ الأَمرَ يتطلبُ وعياً فائقاً مِن القارئِ عَندما تختلفُ شفرةُ النصّ الثقَاْفِيّةِ مع مرجعياتِه، ولا تتوافقُ معها بفعلِ الزمنِ، كأن يباشرُ القارئُ المعاصرُ قراءةَ النصّ القَديمِ قراءةً ثقَاْفِيّةً" **(التميمِيّ، والشجيرِيّ، ٢٠١٤م:٣١٤)**، وعَلَى أَسَاسِ هَذهِ الأَهَمّيَّةِ تجسدتِ المفرداتُ فِي النصّ الجَاْهِلِيّ عَرَبِيَّةً صميمةً خالصةً، وفصِيحةً نَاصِعةً، ولكن الغرابةَ فِيها هو عدمُ استعمالِنا لتلكَ المفرداتِ، وعدمِ مداولتِها فِي حياتِنا اليوميَّةِ؛ فأنحسرتْ وبقيتْ خالدةً فِي القواميسِ والمعجماتِ، وهَذَاْ يحدثُ فِي كُلّ زمانٍ ومكانٍ، إِذ بمرورِ الزمنِ تختفِي ألفاظُ وتولدُ أَخرى بالنسبةِ لضروراتِ المجتمعِ, فاللفظُ يبقى ويستمرُ بأستعمالِه، ويختفِي عَند عدمِ استعمالِه، والمفرداتُ الَّتِي نجدُها اليومَ غريبةً علينا كانتْ مألوفةً فِي الأيامِ الجَاْهِلِيّةِ، ويعرفُها كلُّ فردٍ ولا يحتاجُ إِلَى معاجمَ لاستخراجِ معَناهَا؛ علماً أَنَّ الشَّاْعِرَ الجَاْهِلِيَّ استعملَ المفردةَ الشائعةَ المعروفةَ لدى مجتمعِه، لإثراءِ نصِّهِ دلالِيّاً عبر اسقاطِ انفعالِه عَلَى الخيالِ؛ ليكونَ مركزَ انحسارِ الهمّ والحزنِ، ومنبعَ إثارةِ العاطفةِ، فتداولتها كافةُ القبائلِ المجاورةِ والَّتِي تنطقُ العَرَبِيَّةَ.

وقَد شكّلَ الشِّعْرُ فِي ثقافةِ أَغربةِ الغربِ الجاهليين ركيزةً أَسَاسِيَّةً فِي إِيصالِ الأَفكارِ، وتحقيقُ المقاصدِ بين الشَّاْعِرِ والمجتمعِ آنذاك, فكان له أثرٌ واضحٌ وأهتمامٌ كبيرٌ لديهم, وهو المُعبّرُ عَن آمَالِهم وأَمَانِيهم وأحاسيسِهم ومشاعرِهم واختلاجاتِهم, فالنصُّ الشِّعْرِيُّ الجَاْهِلِيُّ يعدُّ انعكاساً لحيرةِ

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م/١٤٤٥هـ

إنسانٍ ذلك العصرِ, فأيّ نصٍ فهو نسقٌ ثقَافِيٌّ فِي ذاتِه, لا ينفصلُ عَن المجتمعِ, لأَنَّه " واقعةٌ جَمَالْيَّةٌ ثقَافِيّةٌ, يتعانقُ فِيها الواقعيّ مع المتخيلِ, وتندغمُ فِيها الذاتُ الإنسَانيَّةِ مع واقعِها الاجتمَاعِيّ, وتجربتُها الثقَافِيّةُ" **(عليمات،٢٠٠٤م:٣٣)**، ومِن هنا تأتي أَهَمّيةُ جولوجيا الأَنْسَاقِ الثقَافِيّةِ الَّتِي تخفتْ وراءَه ايماءاتٍ وقرائنِ شِعْراءِ الأَغربةِ فِي توجيهِ النصّ الشِّعْرِيّ توجيهاً ثقَافِيّاً, بوصفِها نظامَ الشروعِ فِي الدخولِ إِلَى بيئةِ الحدثِ المهيَأةِ لمدياتٍ تأثرِها بالمداداتِ المعرفِيةِ لقيمِ المجتمعِ الجَاهِلِيّ وقوانينِه وأعرافِه, وانطلاقاً مِن معطياتِ هَذَا المِنهجِ؛ تحاولُ الدرّاسةُ فكَّ مضمراتِ النَّسقِ الشِّعْرِيّ لدى (عَنتَرَةَ بْنِ شدَّادٍ العبسيّ) بوصفِه واقعةً ثقَافِيّةً فِي العصرِ الجَاهِلِيّ، فالتفاصيلُ المكانيَّةُ الَّتِي وظفها فِي شِعْرِه اتخذتْ مسَاراتٌ كثيرةٌ ذاتَ انطباعَاتٍ اجتمَاعِيَّةٍ وثقَافِيّةٍ ومعرفِيّةٍ, تلتقي فِيها الذاتُ الإنسَانيَّةِ المهمشةِ بالواقعِ الاجتمَاعِيّ فِي التجربةِ الثقَافِيّةِ مِن خلالِ الواقعِ المتخيلِ، ولذلكَ استلزمَ شِعْرُ عَنتَرَةَ بْنِ شدَّادٍ الوقوفَ عَند أبرزِ الأَنْسَاقِ الثقَافِيّةِ الَّتِي حملتها قصائدُه، مبيناً مرتكزاتِها الَّتِي أسهمتْ فِي إنتاجِهِ دلالِيًّا صبّتْ مرادَها فِي الواقعِ الظاهريّ الَّذِي يصورُ قبحَ التواصلِ الإنسَانِيّ بينه وبينَ المجتمعِ الجَاهِلِيّ، وهي: **نَّسقُ الفخرِ الذَاتِيّ، ونَّسقُ الانتماءِ، والنَّسقُ المكانِيّ.**

بوصفِها طرَائقٌ مُعبّرةٌ عَن الإندفاعِ الذَاتِيّ الَّذِي يخلقُ نَّسقاً ثقَافِيّاً بوشائجٍ دقيقةٍ هِيَمنتْ عَلَى أغلبُ تفصيلاتِ شِعْرِه، ومِنحتهُ نمطاً خاصاً، تجلتْ معطِيَّاتُه واضحةً فِي إنتاجِ نصوصِهِ الشِّعْريَّةِ.

١. نَّسقُ الفخرِ الذَاتِيّ:

مثّل الفخرُ الذَاتِيُّ نسقاً ثقَافِيّاً متأصلاً فِي الشِّعْرِ الجَاهِلِيّ، وهو اعتزازٌ بفضائلِ كان متعارفٌ عليها فِي الجَاهِلِيّةِ، حيث جعلوها عدلاً للإنسَانِ، فلا معَنى لوجودِهِ أن لم يتحلَ بها، إِلَّا أنَّه فِي الوقتِ نفسه يحمّلُ كثيرًا مِن المضمراتِ، انطلاقاً مِن أنَّه لا يرى عيوبَه، بينما يرى عيوبَ الآخرينِ، فضلاً عَن ذلكَ يُغلَبُ عَلَيه الغرورُ، فيرى نفسَه أَفضلَ مِن غيرِه بكثيرٍ، فالفخرُ نسقٌ وجودِيٌّ يرتبطُ بصراعِ الذاتِ والآخرِ، وإظهارِ مواطنِ القوةِ والضعفِ، إذ نجدُ أَغلبَ الشُّعْراءِ تطرقوا إليه قَدِيماً وحدِيثَاً، فلا يخلو مِنه ديوانُ شَّاعِرٍ، والسببُ فِي ذلكَ أنَّ النفسَ العَرَبِيَّةَ عموماً ميلاً إِلَى الإشادةِ بالبطولةِ، والنسبِ، والوطنِ. (لطيف، ٢٠١٢ م: ٢)، وبالإضافةِ إِلَى ذلكَ تميزُ الفخرَ بكوّنه وسيلةً تعبِيريَّةً مِن توابعِ العصبِيَّةِ والحياةِ القبليَّةِ فِي العصرِ الجَاهِلِيّ؛ بوصفِهِ نتاجًا شعوريًّا مرتبطاً أرتباطاً وثيقاً بفطرةِ الإنسَانِ آنذاك، لذلك أحتلتِ الذاتُ الشَّاعِرةُ فِي القصِيدةِ الجَاهِلِيّةِ موقعاً مهماً، فمِن خلالِها يُديرُ الشَّاعِرُ دفةَ كلماتِهِ بما يخدمُ مصالحَه، إذ تمثلُ الذاتُ "الإنبعاثَ النفسِيَّ للوجودِ الذَاتِيّ الَّذِي يحددُ وجودَ الشخصِ، وانطباعاتِه الذَاتِيّةِ عَن نقطةٍ معينةٍ تحركُ هاجسَ الإحسَاسِ لديهِ

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م/ ١٤٤٥هـ

"(الدليمِيّ، ٢٠١٠م: ٧)، لتكونَ بمثابةِ بيانٍ أَدَبِيٍّ ثقَافِيٍّ يُعبِّرُ عَنه الشَّاعِرُ بقوّةِ الاستشعارِ بمراتبٍ عُليا؛ لأنَّ حبَّ الذاتِ الشَّاعِرةِ نزعةٌ إنسانيَّةٌ طبيعِيَّةٌ.

والنسقُ الثقَافِيُّ الَّذِي تصنعَهُ الذاتُ المفتخرةُ هنا متمثلًا بالفعلِ الحربِيّ، ومكانِه الطبيعِيّ يتمثلُ بساحَاتِ المعاركِ الَّتي يخوضَها عَنْتَرَةُ، فذاتُه كانتْ ممزقةً بين هُويتِها العُرقِيَّةِ، واللونِيَّةِ، والطبقِيَّةِ، فهو عبدٌ، وعربِيٌّ، وأَسودٌ له أصلٌ حبشِيٌّ؛ وبهَذَا فإنَّ الاختبارَ الَّذِي ينتظرُ الحسمَ هو كيف يتخلصُ مِن هَذَا التمزقِ بين الهُويَّاتِ المضطربةِ، فالهُويَّاتُ الَّتي تمثلُ هَذَا الاضطرابَ والتعارضَ هِي: (سيَّد . عبد)، و(عربِيّ ـ أسود حبشِيّ) إذ لا يمكنُ الحسمُ فِيما بينها إلَّا بالعَنفِ والتبرؤ مِن أَحدِهما أو غيرِها (كاظم، ٢٠٠٤م: ٣٧٧)، وعَلَى أَسَاسِ ذلكَ يمكنُ القولُ: أنَّ ملامحَ الفخرِ الذَاتِيّ بمراتبِه الخطَابِيَّةِ فِي شِعْرِ عَنْتَرَةَ كان نوعاً مِن العزاءِ الوهمِيّ أو البديلِ الخيالِيّ لماضٍ فقَده، وحاضرٍ لا إشباعَ فِيه، وهَذَا كُلّه بسببِ البيئةِ القاسِيَّةِ فِي تلكِ العصرِ، إذ كان الشَّاعِرُ يؤكدُ اثباتَ وجودِه أَمَّامَ العدمِ، فضلاً عَن ذلك (الفقَد) الَّذِي يعدُّ مِن أهمِ بواعثِ الذاتِ المفتخرةِ، لذلكَ كان خطابُ عَنْتَرَةَ الشِّعْرِيّ خِطاباً فردِيّاً منبعثاً مِن القضِيَّةِ الذَاتِيَّةِ، وهِي اثباتُ النسبِ رغبةً فِي تحقيقِ مرادِه والزواجِ مِن ابنةِ عمِه، فكان خِطابُهُ آنياً عبَّرَ فِيه عَن الوقائعِ الاتصاليَّةِ الَّتي مرتْ به شخصِيتُه، والَّتِي ارتبطتْ بالفعلِ البطوليّ الَّذِي يميزُهُ مِنْ غيرِه، فرسمَ ملامحَ بعضِ قصائدِه عَلَى وفقِ هَذهِ الرؤيةِ، ويندرجُ فِي أفقِ هَذَا المضمُونِ قولُه: (الكامل) (التبريزِيّ، ١٩٩٢م: ١٧٣.١٧٤)

وَمُدَجَّجٍ كَرِهَ الْكُمـاةُ نِزَالَـهُ ... لا مُمْعَنٍ هَرَباً ولا مُسْتَسْلِـمِ
جادَتْ يَدايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَـةٍ ... بِمُثَقَّفٍ صَدْقِ الْقَناةِ مُقَـوَّمِ
بِرَحِيبَةِ الْفَرْغَيْنِ يَهْدِي جَرْسُها ... بِاللَّيْلِ مُعْتَسَّ الْسِّباعِ الْضُـرَّمِ
كَمَّشْتُ بالرُّمْحِ الطَّوِيلِ ثِيَابَـهُ ... لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنا بِمُحَرَّمِ
وَتَرَكْتُهُ جَزَرَ الْسِّبـاعِ يَنُشْنَهُ ... ما بَيْنَ قُلَّةِ رَأْسِهِ والْمِعْصَـمِ

عملتِ البنيةُ الذَاتِيّةُ فِي هَذَا النصِّ عَلَى تداعيَّاتِ عَنْتَرَةَ، وهو يشحذُ ذاكرتَه عَلَى أَسَاسِ رؤاهِ الإبداعِيَّةِ فِي تحقيقِ مردودِه الشِّعْرِيّ، معولاً فِي ذلكَ أن يعوضَ عَن رغبةٍ ملحةٍ لديه؛ وهِي التخلصُ مِن قيودٍ متاهاتٍ تسيطرُ عَلَى ذاتِه المندثرةِ، إذ يعمدُ إِلَى تأكيدِ ذاتِه وتفخيمها إِلَى درجةِ البطولةِ الفذةِ، أو النرجسِيّةِ الذَاتِيَّةِ، بحيث يثبّتُ مِنْ خلالِ نسقِ الذاتِ المفتخرةِ تميزُه وتفردُه بالشجاعةِ عَلَى سائرِ أفرادِ القبيلةِ، وهَذَا تجلّى عَلَى هرميّةِ النصِّ أبتداءً مِن قولِهِ (جادَتْ يَدايَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ)، فاليدُ بالعرفِ الإنسَانِيّ تُستعملُ للجودِ والعطاءِ، بينما عَنْتَرَةُ هنا خرجَ عَن المألوفِ، مشكّلاً نسقاً ثقَافِيّاً

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م /١٤٤٥هـ

خاصًّا بذاتِه، جَاعِلاً يدَه للضربِ، فيرى موتَ خصمِه خيرًا ونعمةً يجودُ بها له، إذ كان يعمدُ إلَى الفخرِ بنفسِه، وبطولتِه وكرمِه أثناءَ الحربِ، ويضيفُ الشَّاعِرُ فِي نصِّه هَذَا بعضَ الخصالِ الحميدةِ لذاتِهِ، ومِنه (كَمَّشْتُ ثِيَابَهُ)، إذ رفعَ ثيابَه بعد الطعَنِ، ثُمَّ يصفُ كمالَ خلقِه، وفضلُ قوتِه بتعبيرِه (بالرُّمْحِ الطَّوِيلِ)، وهذهِ هِي القيمةُ الفنّيَّةُ التي أشاعَها الشَّاعِرُ فِي نصِّهِ، فذاتُه هنا انفصلتْ عَن ذاتِ قبيلتِه، فهِي متعاليَّةٌ قويَّةٌ، ولها سلطةٌ فِي سوحِ المعاركِ، قادرةٌ عَلَى تحمّلِ المسؤوليَّةِ عَن كُلِّ شيءٍ يحدثُ فِي القتَالِ.

إنَّ التجاربَ الإنسانيَّةِ وأشكالَ الصراعِ النفسِيّ والأَخلاقِيَّ، والعَاطفِيَّ الَّذِي كان قَد واجهَه الشَّاعِرُ إنَّما اتخذَها وسيلةَ تعبيرٍ نصّيّ أسسَ عَلَيه رؤيتَه الإبداعِيَّةِ المتأتِيةِ مِن عمقِ يومياتِه المُلأى بأوجاعِه النفسيَّةِ، وهَذَا كُلُّه بسببِ الفجوةِ الواسعةِ الَّتي تفصلُه عَن القبيلةِ، إذ إنَّ الفجوةَ "مسافةُ التوترِ التي تنبعُ مِن الموقفِ الفكريّ، قَد تكون أكثرَ تحديداً عقَائدِيَّاً (ايديولوجياً)، فتتجلّى عَلَى صعيدٍ توضعُ فِيه الذاتُ مثلاً فِي مواجهةِ الآخرِ، بحيث تقومُ بينهما فجوةٌ حادةٌ متجاوزةٌ" **(أَبو ديب، ١٩٨٧م: ٤٥.٤٤)**، وهكذا ينطلقُ الفخرُ الذَاتِيُّ بوصفِهِ نسقاً ثقَافِيَّاً يتضحُ مِن المعانِي المتصلةِ بالبواعثِ النفسِيَّةِ الَّتي تشيعُ فِي النصِّ وقفةً شعُورِيَّةً مُحمَّلةً بحرارةِ التجربةِ بمختلفِ مسمياتِها، وأَنماطِها.

شكّلَ نسقُ الذاتِ المفتخرةِ قيمةً ثقَافِيَّةً فِي شِّعْرِ عَنْتَرَةَ مِن خلالِ ارتباطِه بالفعلِ البطولِيّ؛ لمَا يمتلكُه مِن أهميةٍ مثّلتْ أَساسُ وجودِه بوسَاطةِ اللُّغَةِ المعبّرةِ عمَّا يعانِيه، بوصفِها وسِيلةً للانتقالِ مِن عَالمِ العبِيدِ إِلَّى عَالمِ الأحرارِ، فهو يمتلكُ قوتين لتحقيقِ مرادَه، القوةُ الأَوّلى المتمثّلةُ بشجَاعتِه، والثّانية بقولِ الشِّعْرِ، وهَذَا قَد تضَافرَ بشكّلٍ إيجابِيّ عَلَى الذاتِ الشَّاعِرةِ والمِنعكسةِ عَلَى النصِّ الإبداعِيّ، معتمداً عَلَى الصورِ الإيحَائيَّةِ المكثّفةِ فِي إبرازِ صفاتِهِ القائمةِ عَلَى ضدِيَّةِ لونِه، ومِن ذلكَ ما ينجلّي فِي قولِهِ: (الكامل) (التبرِيزِيّ، ١٩٩٢م: ٢٢)

وَلأَحْمِيَنَّ النَّفْسَ عَن شَهَوَاتِهـا ... حَتَّى أَرَى ذَا ذِمَّةٍ وَوَفَـــاءِ
مِن كَانَ يَجْحَدُنِي؛ فَقَد بَرَحَ الخَفَا، ... ما كُنْتُ أَكْتُمُهُ عَن الرُّقَبَـــاءِ
ما سَاءَني لَوْني واسْمُ زبيبَـــةٍ، ... إِذْ قَصَّرَتْ ،عَن هِمَّتي، أَعْدَائي
فَلَئِنْ بَقِيتُ لأَصْنَعَن عَجَائِبـــاً، ... وَلأُبكِمن بَلَاغةَ الفُصَحَـــاءِ

تمظهرُ النسقُ الثقَافِيُّ فِي هَذَا النصِّ عبّرَ إنزالِ عَنْتَرَةَ ثقلَ الحمّولةِ التعبيرِيَّةِ لمعاناتِه الَّتي رسمَ مِن خلالِها صورةً للإشادةِ بذاتِهِ، إذ لم يترددْ فِي وضعِ الفرقِ بينه وبين مِن رضى بالذلِ، معتمداً عَلَى عباراتٍ ينتخبُها فِي مثلِ: (وَلأَحْمِيَنَّ النَّفْسَ عَن شَهَوَاتِها)، و(ما سَاءَني لَوْني وإِسْمُ زبيبَةٍ)، و(فَلَئِنْ

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م/١٤٤٥هـ

بَقِيتُ لأصْنَعَن عَجَائِباً)؛ والَّتي تمثلُ نزعةً تطهيريَّةً تخلصُه مِن براثنِ الألمِ، والركيزةِ الَّتي تقضي عَلَى معاناتِه، وتزيلُ عَنه حجبَ القتَامةِ فِي المجتمعِ، إذ إنَّ عَنْتَرَةَ اتكأ عَلَى صفةِ القوّةِ الَّتي يتمتعُ بها؛ لإرسالِ خِطاباً ثقَافِيَّاً يتجلّى فِيه إدانتهِ لفكرةِ النسبِ الشريفِ، وذلكَ بأنَّ صفاتَ الكرمِ، والنبلِ لا يمكن أن تتمركزَ إلَّا حولَ الرجلِ النبيلِ أو ذي النسبِ، وإنَّما يمكنُ أن يتمتعَ شخصٌ مثلَ عَنْتَرَةَ بصفاتِ النبلِ، والشجاعةِ ورجحانِ العقلِ؛ مؤكداً أَنَّ القوّةَ والعفةَ تتقَدمان عَلَى النسبِ.

إنَّ عَنْتَرَةَ فِي نصِّهِ هَذَا إنَّما يُعبّرُ عَن مكبوتاتِهِ وعَن التجَاربِ الأَصليَّةِ تعبّيراً لحديثِ النفسِ فِي تأملِها للماضِي، فانثالتِ المشاعرُ المحتدمةُ فِي نفسِه؛ لتسفرَ عَن ألمِهِ وحزنِه ومعاناتِه، لأَنَّ ذاتَه باحثةٌ عَن لذّةِ الانتماءِ وعَن مجدِها الاجتمَاعِيّ، ووجودِها الإنسَانِيّ والَّتِي يسعى إليها الشَّاعِرُ جَاهداً، فهو فِي أحيانٍ كثيرةٍ "شمخَ بنفسِهِ وتطاولَ بها، حتى جعلَها فِي منزلةٍ تضاهِي منزلةَ القبيلةَ، إذ لم يدعُ صفةً مِن صفاتِ البطولةِ والفتوةِ إلَّا الصقَها بها، ولا خصلةً مِن خصالِ النبلِ والشرفِ إلَّا جعلَها ميزةً مِن ميزاتِها" **(زيتوني،١٩٧٩م: ٢٣)**، وهكذا يستمرُ عَنْتَرَةَ في استدراجِنا إِلَى فخامةِ ذاتِه المفتخرةِ، كاشفاً لنا عَن صفاتِهِ اليوميَّةِ بما هِيَ مفرداتٌ تفتحُ بالحدسِ الإنسَانِيّ، تلكَ النفسُ القتاليَّةُ الباسلةُ، فضلاً عَن ذلكَ يقومُ بالتَّمويهِ بقدرتِه الفائقةِ عَلَى المبادرةِ وإتخاذِ قرارَ الخصوصِيَّةِ، ومسكَ زمامُ عَالمِه المتمثلِ بنسقِ الذاتِ المفتخرةِ.

٢. النَّسقُ الانتمَائيّ:

إنَّ الجوهرَ الَّذِي يقَدّمَه الشَّاعِرُ الجَاهِلِيُّ فِي النسقِ الانتمائيّ هو ذلكَ التصورُ للحظةِ الإنسَانِيَّةِ الخاصةِ الَّتِي تحمّلُ نكهةَ إنسَانها بكونيته وفرادتِه، تلكَ اللحظةُ الَّتي تحمّلُ علاقاتٍ تلازميَّةٍ تشعرُهم بوحدتِهم وتمايزِهم، إذ هو ذلكَ الانعكاسُ المباشرُ للحياةِ الاجتمَاعِيَّةِ والثقَافِيَّةِ والسياسِيَّةِ عَلَى وفقِ ما تذهبُ إليه المخيلةُ الشِّعْرِيَّةُ، وذلكَ لأَنَّ الشِّعْرَ " بناءٌ يستمدُ ركائزَه مِن أبنيةِ الثقَافةِ الَّتِي ينتمِي إليها الشَّاعِرُ، لكنه لا يخضعُ لها، بل يشكّلُ بناءً موازيَّاً ومعادلاً لهذه الأَبنيةِ، يعكسُ آلياتَ إنتاجِ المعرفةِ لا لتثبيتها؛ وإنَّما لكشفَ تناقضاتُها" **(عثمان،١٩٨٦م: ٩٩)**، فالشَّاعِرُ الجَاهِلِيُّ مرتهنٌ وجودُهُ بمرجعياتِهِ الثقَافِيَّةِ وانتمائه القبائلِيّ، لذا يحمّلُ القبيلةَ فِي ذاتِه، ويجعلَها فِي كيانِه، فهِي التوقُ إِلَى بعثِ الحياةِ، لذا يمكنُ عدّ الانتماءِ تجربةً إنسَانِيَّةً معيشةً، فالإنسَانُ هو الَّذِي يخلقُ هُويّتَه الفكريَّةَ والثقَافِيَّةَ والايدلوجِيَّةَ، إذ إنَّها ليستْ قضِيَّةٌ صوريَّةٌ بين الإثباتِ والنفِي، بين المثاليين والواقعيين، بل هِي حريةٌ إنسَانيَّةٌ معينةٌ، لذا عُدّتْ إمكانِيةٌ مصاحبةٌ، للوجودِ بوصفِها وعياً ذاتيَّاً يتخلقُ بالحريةِ، فلكُلّ ذاتِ هُويَّةٍ كامِنةٍ، توحدها وتحميُها مِن الأنقسامِ فِي الوجودِ الإنسَانيّ ومقولاتِها الوجودِيَّةِ، والإمكانِيَّةِ،

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م /١٤٤٥هـ

والوعي الذَاتِيّ لا الوجودِ والعدمِ، وفِي هذهِ الحالةِ تسمى هُويَّةً ذاتيَّةً، فلا تحتاجُ فِي تحليلِها إِلَى المراجعِ، ونقلِ تجاربِ الآخرينِ مِن الاستنادِ إِلَى تجربةِ معِيشةٍ حيّةٍ **(بعلبكِيّ، ٢٠١٣م: ١٨٨)**؛ لذا الأحسَاسُ بالانتماءِ، وعمقِ تأثِيرِهِ شكّلَ فِي ذواتِهم نسقاً ثقَافِيَّاً يعكسُ رؤيةً إِيجابِيَّةً عبّرَ التزامِها الخلقِيّ، والاجتمَاعِيّ بالقيمِ الإِيجابِيَّةِ الأَصليَّةِ فِي معتركِ الحياةِ، وخصوصاً فِي ظهورِ الأَزماتِ، وفِي ضوئِها تتمُ عمليَّةُ التواصلِ فكرِيَّاً وثقَافِيَّاً واجتمَاعِيَّاً.

إِنَّ الانتماءَ ظاهرةٌ إِنسَانِيَّةٌ لا تشكّلُ مِنظومةً جاهزةً ونهائِيَّةً، بل هِي مشروعٌ متشابكٌ مع واقعِها وخصوصيتِه الثقافِيَّةِ والاجتمَاعِيَّةِ؛ لأنَّها متغيرةٌ ومتطورةٌ بإرادةِ الإِنسَانِ الساعِي نحو الأفضلُ, وعَنْتَرَةُ بْنُ شدَّادٍ صاحبُ الإرادةِ القوِيّةِ المتطورةِ حسبِ متطلباتِ الحياةِ، لم تثنَه ظروفُ القهرِ والعبودِيَّةِ عَن السعي لإثباتِ الانتماءِ عبرَ وسائلٍ ذكِيَّةٍ متمثلةٍ بإثارةِ المدلولِ الشِّعْرِيّ الَّذِي أخذَ مِنحى متميزاً فِي بناءِ نصوصِهِ بالتأكيدِ عَلَى حريتِه، ورغبتِه الجامحةِ للتخلصِ مِن رقِّ العبودِيَّةِ, إِذ نراه لا يهربُ مِن عقَدةِ اللونِ وهِي المشكلةُ الأَسَاسِيَّةُ الَّتِي تواجهُه فِي حياتِهِ، وإِنَّما تصدى لها وواجهَها وتغلبَ عليها، فوجدَ أَنَّ الانتماءَ للقبيلةِ هو خلاصُه الوحيدُ مِن واقعةِ المريرِ المتمثلِ بالعبودِيَّةِ, فجاءَ الانتماءُ عَنده عبارةً عَن الإقرارِ بالهُويَّةِ العرقِيَّةِ المتمثلةِ بالعبيدِ، وهو انتماءُ الشخصِيَّةِ؛ محدداً ذلك دورَه الاجتمَاعِيّ داخلَ القبيلةِ وخارجِها؛ لتحقيقِ الانتماءُ القبليُّ, ولتقصي حقيقةَ هذهِ الرؤيةِ النقَدِيَّةِ يمكنُ الوقوفُ عَند انتمائين وهما: الانتماءُ الجزئِيُّ (العُرقِيُّ)، والانتماءُ المركزِيُّ (القبيلةُ)؛ بوصفهما يشكلان بمجموعِهما فعلاً ثقَافِيَّاً عَلَى وفقِ العِلاقةِ بين الشَّاعِرِ، والصراعِ الوجوديّ.

١. الانتماءُ الجزئِيُّ(العرقِيُّ)

يمثلُ الاحتفاءُ الشِّعْرِيُّ بالعرقِ أو النسبِ فِي شِّعْرِ عَنْتَرَةَ بْنِ شدَّادٍ وسيلةَ خلقٍ فنّيّ ثقَافِيّ لفعلِ التصويرِ الَّذِي يستمدها عبرَ تداعيَّاتِ مجتمعِه القاسِيةِ المحفزةِ لفعلِ التصويرِ، إِذ نجده نسقاً ثقَافِيَّاً شغلَ مساحةً واسعةً مِن نتاجِهِ الشِّعْرِيّ، فانمازتْ نصوصُهُ الشِّعْرِيَّةُ فِي إِبرازِ ملامحِ عرقِهِ، بوصفِها إِحدى تمثلاتِ الهُويَّةِ الثقَافِيَّةِ بإِحداثِ انعطافةٍ فنّيَّةٍ فِي تجسيدِ حركةِ الخيالِ المُعبّرِ عَن انتمائِه الجزئي (العرقِيّ) الَّذِي وظفَ مِن خلالِه القيمِ، والعَاداتِ، والسلوكيَّاتِ العرقِيَّةِ؛ لذلكَ يمثلُ الوسِيلةَ الكفِيلةَ بتوجيهِ ذهنِ المُتلقِي نحو الاتجاهِ المُغَايرِ فِي الفعلِ القرَائي، لأَنَّ ما يقَدّمَه الشَّاعِرُ الجَاهِلِيُّ فِي انتمائِه، هو ذلكَ التصورُ التراثيُّ لقبيلتِه، عَلَى وفقِ ما تذهبُ إِليه مخيلتُهُ الإِبداعِيَّةِ والثقَافِيَّةِ والَّتِي تتبنى عاداتِ، وتقاليدِ القبيلةِ، والوقوفِ عَند نصوصِ عَنْتَرَةَ يوضحُ معالمَ هذه الرؤيةِ، إِذ يقولُ: (الوافر) (التبرِيزِيّ، ١٩٩٢م: ١٨٨)

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م /١٤٤٥هـ

أَنَا العَبْدُ الَّذِي خُبِّرْتِ عَنــهُ ... رَعَيْتُ جِمالَ قَوْمِي عَلَى فِطَامِي
أَرُوحُ عَلَى الصَّبَاحِ إِلَى مَغِيبٍ ... وَأَرْقُد بَيْنَ أَطْنَابِ الخِيَــامِ
أَذِلُّ لعَبْلَةٍ عَلَــى فَرْطِ وَجْــدِي ... وَأَجْعَلُهَا عَلَى الدُّنْيَا اهْتِمَامِي
وَأَمْتَثِلُ الأَوَامِرَ مِــنْ أَبِيهَــا ... وَقَد مَلَكَ الهَوَى عَلَي زِمَامِي
رَضِيتُ بِحُبِّهَا طَــوْعاً وَكُرْهــاً ... فَهَلْ أَحْظَى بِهَا قَبْلَ الحِمَامِ
وَإِنْ عَابَتْ سَوَادِي فَهْوَ فَخْرِي ... لأَنِي فَارِسٌ مِــنْ نَسْلِ حَــامِ
وَلِي قَلْبٌ أَشَدُّ مِنَ الرَّوَاسِــي ... وَذِكرِي مِثْلُ عَرْفِ المِسْكِ نامي

إِنَّ عَنْتَرَةَ يفتحُ نصَّه بدلالةٍ ثقَافِيَّةٍ (أَنَا العَبْدُ) وهِي عَلامةٌ عَلَى انتماءِه العرقِيّ؛ بوصفِها إِحدى تمثّلاتِ الهُويَّةِ الثقَافِيَّةِ الَّتِي تضفي عَلَى الشَّاعِرِ هُويَّةً خاصةً به فِي القِيمِ والعَاداتِ والسلوكيَّاتِ، فالإقرارُ بنسقِ الانتماءِ العرقِيّ لا يشيرُ إِلَى انتماءِ الشخصِيَّةِ فقط، وإِنَّما يحددُ دورَها الاجتمَاعِيّ، والثقَافِيّ داخلَ القبيلةِ وخَارجِها، وهَذا هو سبيلُ الوصولِ إِلَى تحقيقِ طموحاتِهِ الَّتِي تراوده, فقولَه (أَذِلُّ لعَبْلَةٍ عَلَى فَرْطِ وَجْدِي) يمثلُ انعكاسَاً حقيقيَّاً لاجتذابِ الحبيبةِ ولفتِ انتباهِها إِليه, ثُمَّ يذهب إِلَى اختراقِ، وتحطيمِ الحواجزِ الَّتِي تقفُ بينه وبين عبلةَ؛ بسببِ عقدةِ اللونِ والنظرةِ العرقِيَّةِ، وأَسَاسُ ذلك ظهرَ فِي قولِهِ: (وَأَمْتَثِلُ الأَوَامِرَ مِنْ أَبِيهَا)، و(وَإِنْ عَابَتْ سَوَادِي فَهْوَ فَخْرِي)، و(وَلِي قَلْبٌ أَشَدُّ مِنَ الرَّوَاسِي)، إِذ يتضمنُ النصُّ قيمةً ثقَافِيَّةً متجذرةً فِي ذهنِ عَنْتَرَةَ، وهي اكتسابُ المواطنةِ الحرةِ، والخروجِ مِن مأزقِ العبوديَّةِ والتصنيفِ الطبقِيّ, فإِنَّ نفسِيَته تتسربُ من خلال نصِّه بِأَسلوبٍ مباشرٍ؛ لتؤكدَ الانتماءَ العرقِيَّ الَّذِي يمثلُ جزءاً مِن الذاتِ الَّتِي لا يستطيعُ الانعتاقَ منها.

يبدو مِن خلالِ المكَاشفةِ والقراءةِ لهذا النصِّ أَنَّ عَنْتَرَةَ كان واعياً لحقيقةِ عبُودِيتِهِ, ومدركاً لكُنْه نظرةِ مجْتمَعِه إِليه, وكان رَدُّ فعلِهِ جريئاً، إِذ لم يقبعْ في الظلِّ, بل كان ردُّه في سِياقِ التحدِّي, والتجَاهلِ, وادّعاءِ اللاّمبالاةِ، وأَشَارَ بغيرِ خجلٍ إِلَى تلكَ الأَعمالِ المهينةِ الَّتِي كان سادةُ قومِه يؤكلونها إِليه **(أحمد، ٢٠٠٨م: ١٧٥)**، وهنا يأتِي الإقرارُ بالانتماءِ العرقِيّ ممزوجَاً بالبطولةِ؛ بوصفهما الممكنَ الوحِيدَ الَّذِي يمكن أن يستردَ الشَّاعِرُ وجودِه فِي المجتمعِ القاسِي, لعيدَ خلقَ نفسِه مِن جديدٍ على تحقيقِ الانتماءِ القبلِيّ، وتحسينُ وضعَه الاجتمَاعِيّ داخلَ القبيلةِ وخَارجِها, ممَّا يؤشرُ أَنَّ عَنْتَرَةَ يعِي القيمةَ الثقَافِيَّةَ للانتماءِ العرقِيّ فِي المتصورِ الثقَافِيّ الجَاهِلِيّ.

ومِن الانتماءاتِ العُرقِيَّةِ الَّتِي تنبثقُ مفاداتُها فِي شِّعْرِ عَنْتَرَةَ، قصِيدتَه الَّتِي برزَ فِيها الفروسِيَّةُ الفذةُ، والَّتِي لم ينلْها أحدٌ مِنْ قبلِه، يلقِي الضوءَ عَلَى أحاسِيسٍ ومشاعرٍ مضمورةٍ، ثُمَّ يُحيلها إِلَى واقعٍ حيٍّ؛

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م/١٤٤٥هـ

كوّنه سعى إلَى إبرازِ تفصيلاتٍ عَن أحزانِه، وهمُومِه اليوميَّةِ في سِياقٍ ثقَافِيٍّ، فيقولُ: **(الوافر)** (التبريزيّ، ١٩٩٢م: ٢١٧)

أَنَا العَبْدُ الَّذِي بِدِيارِ عَبْــسٍ ... رَبِيتُ بِعِزّةِ النّفْسِ الأَبِيَّــهْ
سَلَوا النُّعْمَانَ عَنّي يَوْمَ جَاءَتْ ... فَوَارِسُ عُصْبَةِ النَّارِ الحَمِيَّهْ
أَقَمْتُ بِصَارِمِي سُوقُ المَنَايَا ... وَنِلْتُ بِذَابِلِي الرُّتَبَ العَلّيَهْ

تعاملَ عَنْتَرَةُ مع ممَارسةٍ ثقَافِيَّةٍ ليصورَ خلجاتِ نفسِهِ، مستثمراً عنصرِي انتماءِهِ العُرقِيّ وشجاعتِهِ، ليكوّنَ فِيها مركزِيَّةٌ وديباجةُ لمنطقِ تعبيراتِه، فقوله: (أَنَا العَبْدُ الَّذِي بِدِيارِ عَبْسٍ) بدتْ إضافةً ثقَافِيَّةً تحشدتْ بِها الكثافةُ الرؤيويَّةُ في نسيجِ النصّ، أباحَ الشَّاْعِرُ مِن خلالِها الضجيجَ النفسِيَّ الَّذي يهيمنُ عَلَى ذاتِهِ، لأنَّ " موضوعَ القصيدةِ لم يأتِ ارتجالاً، وإنَّما عاشَ قبل التأليفِ حياةً متطورةً منفعلةً بمختلفِ المؤثراتِ النفسِيَّةِ الَّتِي تتصلُ به مِن قريبٍ أو بعيدٍ، لا شكَّ أن بدءَ هَذِهِ الخطراتِ لم يكن مسَاوِيَّاً لشكّلها الأَخيرِ، بل كان للحوادثِ والأنفعالِ بها أثرُه الكبيرُ فِي انضاجِها والصيرورةِ بها إلَى هَذِهِ النهايَّةِ " **(أسعد،١٩٨٤م: ١٠٧)**، إذ إنَّ توالِي الأَمنياتِ الراسخةِ فِي الانتماءِ العُرقِيّ فِي هَذا النصّ, خلقَ نوعاً مِن القلقِ المقيمِ في نفسِ عَنْتَرَةِ المُصطدمِ بحقيقةِ مجتمعِهِ، واللاجدوى مِن الاتصالِ بالقبيلةِ وحبيبتِهِ عبلةَ.

يسلطُ الشَّاْعِرُ الضوءَ عَلَى عزّةِ نفسِه عبَّر قولِه: (رَبِيتُ بِعِزّةِ النّفْسِ الأَبِيَّهْ)، وما تحمّله مِن بعدٍ ثقَافِيٍّ, وهُويَّةٍ ووعاءٍ لا يتغيرُ, وإنَّما تتغيرُ ظروفُ الشَّاْعِرِ فِي ضوءِ العلاقةِ بينه وبين المجتمعِ آنذاك, فهو يسعى فِي الحفاظِ عَلَى وجودِه البيولوجِيّ الحيويّ، وعَلَى قوامِهِ النفسِيّ المعنويّ؛ لتحقيقَ تكيفَه فِي المجتمعِ, فجاءَ اثراءُه لنصِّهِ ثقَافيَّاً عبَّر اسقاطِ المتناقضاتِ فِي بوتقةٍ واحدةٍ تظهرُ ملامحُها فِي (العَبْدُ)، و(النّفْسُ الأَبِيَّهْ)، و(الرُّتَبُ العَلّيَهْ)؛ ليخلقَ عبَّرها ستاراً نفسِيَّاً مركباً بِما يحمّلُ مِن تناقضاتِ الحياةِ وتعددِ أشكالِها، عبَّر وظائفَ دلاليَّةٍ وجمَاليَّةٍ يتعَاملُ معها عَنْتَرَةُ بوعيٍّ، ورؤيةٍ معمقةٍ وحساسِيَّةٍ مرهفةٍ.

٢. الانتماءُ المركزِيُّ(القبيلة)

عُنِي الانتماءُ المركزِيُّ هنا بِطرائقَ ومحاولاتِ عَنْتَرَةَ للتعبّيرِ عَن قدراتِه فِي تأكيدِ ذاتيته؛ لأَنَّ مكانتَه مرهونةٌ بالمشاركةِ العامّةِ، فعبّر مِن خلالِ هَذا الانتماءِ عَن مشَاعرِ وعواطفِ؛ موظفاً فيها عَلَى أنَّه صاحبُ تفكيرٍ وإرادةٍ وقدرةٍ مكتفيةٍ بنفسِها، فيجَاهدُ أن تكونَ نصوصُه الشعريَّةِ أكثرَ إيلاماً وتحدِياً لمواجهةِ الظروفِ القاهِرةِ، ليوثقَ بعدسةِ تصويرِهِ الفنّيّ نسقاً ثقَافيَّاً يمثّلُ مجرياتِ أَحداثِ ارتبطتْ

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م/١٤٤٥هـ

بواقعِهِ القَاسِي، معبّراً عَن لواعجِ نفسِهِ، ومعاناتِهِ المستمرةِ، وعَلَى أَسَاسِ هَذِهِ الأَهمِيةِ؛ يتجسدُ الانتماءُ المركزِيُّ فِي شِعْرِ عَنْتَرَةَ بْنِ شدَّادٍ مدخلاً أَساسِيًّا قادراً عَلَى إظهارِ المكنوناتِ الثقَافِيَّةِ الَّتِي تختلجُ فِي نفسِهِ، وتباريحُ ذلكَ نجدها مؤشراً حيًّا فِي قولِهِ: (الوافر) (التبريزيّ، ١٩٩٢م: ٢١٧)

وَنَحْنُ العَادِلُونَ إِذَا حَكَمْنَا ... وَنَحْنُ المُشْفِقُونَ عَلَى الرَّعِيَّهْ
وَنَحْنُ المُنْصِفُونَ إِذَا دُعِينَا ... إِلَى طَعْنِ الرِّمَاحِ السَّمْهَرِيَّهْ
وَنَحْنُ الغَالِبُونَ إِذَا حَمَلْنَا ... عَلَى الخَيْلِ الجيَادِ الأَعْوَجِيَّهْ
وَنَحْنُ المُوقِدُونَ لِكُلِّ حَرْب ... وَنَصْلَاهَا بِأَفْئِدَةٍ جَرِيَّهْ
مَلأْنَا الأَرْضَ خَوْفاً مِنْ سَطَانَا ... وَهَابَتْنَا المُلُوكُ الكِسْرَوِيَّهْ
سَلُوا عَنَّا دِيَارَ الشَّامِ طُرّاً ... وَفُرْسَانَ المُلُوكِ القَيْصَرِيَّهْ

تقومُ تداعِياتُ الانتماءِ القبلِيّ فِي نصِّ عَنْتَرَةَ هَذا عَلَى المصلحةِ المُتبادلةِ بينه وبين القبِيلةِ, الأَمرُ الَّذِي جعله يوظفُ شجاعتَه فِي شِعْرِهِ للحديثِ عَن القبِيلةِ، وتصويرُ قوّتِها الَّتِي كانتْ مِن شروطِ الحياةِ الجَاهلِيَّةِ آنذاك, فراحَ يتغنى بأَمجادِ القبِيلةِ باستعمالِ الجملَ التقريرِيَّةَ بصيغِ الجمعِ بِوسَاطةِ تكرارِ الضميرِ (نحن) خمسَ مراتٍ، للدّلالةِ عَلَى قوّتِهم فِي هزيمةِ الأَعداءِ؛ لأَنَّ التكرارَ فِي هذا النصِّ إِنَّما هو " فِي حقيقتِه الحّاحِ عَلَى جهةٍ هامةٍ مِن العبارةِ, يعنى بِها الشَّاعِرُ أَكثرَ مِن عنايتِه بسواها, وهذا هو القانونُ الأَوَّلُ الَّذِي نلمسه كامناً فِي كُلِّ تكرارٍ يخطرُ عَلَى البالِ" **(الملائكة، ١٩٧٨م: ٢٤)**

وبذلك فأَنَّ النسقَ الثقَافِيَّ يتمثلُ فِي رغبتِهِ للانتماءِ، واختيارِ الزمنَ الماضِي للأفعالِ (حَمَلْنَا، مَلأنا، هَابَتْنَا)، ودّلالتِهما ما هِي إِلَّا ليكونَ تأكِيداً عَلَى تحقيقِ هَذا النسقِ، فضلاً عَن ذلك التفاصِيلِ المكَانِيَّةِ الَّتِي تمظهرتْ فِي قصيدتِهِ (الأَرْضُ)، و(دِيَارُ الشَّامِ)؛ اتخذتْ مسَاراتٍ كثيرةً ذاتَ انطبَاعَاتٍ ثقَافِيَّةٍ واجتمَاعِيَّةٍ ومعرفِيَّةٍ، وما دّلالةُ الربطِ بين التفاصيلِ المكَانِيَّةِ، والصيغِ الجمعِ، والزمنِ الماضِي إِلَّا دليلٌ عَلَى حضورِ هُوِيَّةِ الانتماءِ، وذاكرةٍ تلتحمُ مع نحن القبِيلةِ الَّتِي حاولَ عَنْتَرَةُ أَن يثبتَها فِي قصِيدتِهِ.

إِنَّ نصوصَ عَنْتَرَةَ الشعرِيَّةِ, تطرحُ لنا صورةً من صورِ الصراعِ الحياتِيّ بين الإِنسَانِ والإِنسَانِ, وبين الإِنسَانِ والبيئةِ, داخلَ شبكةٍ ومنظومةٍ مِن الحوادثِ, الَّتِي رسمتْ بعضَ ملامحِ الحياةِ العربِيَّةِ الجَاهلِيَّةِ قبل الإِسلامِ, وهذا الطرحُ جاءَ عبَّرَ نمطيتِها الخاصّةِ, حين ألفنا وجودَ الصراعاتِ الكثيرةِ, من خلالِ الأَخبارِ بالحدثِ, ويبدو أَنَّ عَنْتَرَةَ كان واعِياً كُلّ الوعِي تماماً لدورِ كُلِّ جزءٍ مِن أَجزاءِ قصِيدتِهِ؛

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م/١٤٤٥هـ

لأَنَّه يستمدُ هَذِهِ الأَجزاءَ مِن الظروفِ البِيئيَّةِ، والاجتمَاعِيَّةِ، والنفسِيَّةِ الذاتِيَّةِ الَّتِي ترفدُه بتفصِيلاتِ ويوميات الحياةِ، والَّتِي تشكّلُ هاجساً وقلقاً لديه ممتزجةً بقدرته الابداعِيَّةِ للتعبِيرِ عَن حديثِ النفسِ **(الوائليّ، ٢٠٠١م: ٧٢)**, وبتقنِيةٍ فنيَّةٍ عاليَّةٍ, وبدفقٍ فروسِيٍّ نفسِيٍّ عفيفٍ، متخذاً مِن عنصرِ المرأةِ غايةً لذلك، ووسِيلةً لتمرير نسقِه الثقَافِيِّ الَّذِي يتمظهرُ فِي محاولاتِهِ أن يكونَ عبسِيّاً، مروجاً لقوّةِ القبيلةِ، محاولاً أن يبثَ ذلكَ ليصلَ إِلَى مسامعِهم، واتضاحِ ذلكَ يستجلّى مِن قولِهِ: **(الكامل)** (التبرِيزِيّ، ١٩٩٢م: ١١٨)

وَسَلِي بِنا عُكّاً وخَثْعَم تُخْبَري ... وَسَلِي المُلوكَ وطيّئَ الأَجْيالِ
أَو آلَ ضَبَّةَ بالشِّباكِ إِذِ اسْلمَتْ ... بَكْرٌ حَـلَائِلُها ورَهْطٌ عِقـالِ
وَبَني صَباحٍ قَدْ تَرَكْنا مِنْهُـمُ ... جَزَراً بِذَاتِ الرَّمْثِ فَوْقَ أُثالِ
زيداً وسوداً والمقطَّعَ أَقْصَدَتْ ... أَرماحُنا ومُجاشِعَ بنَ حـلالِ
رُعْناهُمُ بِالخَيْلِ تُردي بالقنـا ... وبكلِّ أَبْيَضَ صـارِمٍ قَصَّـالِ
يومَ الشِّباكِ فأَسْلمُوا أَبْناءَهُمْ ... وَنَـواعِماً كالرَّبْرَبِ الأَطْفالَ

تتداحُ فِي النصِّ مجساتٌ ثقَافِيَّةٌ يتضحُ وجودُها فِي قولِهِ: (سَلِي)، إذ وظفَ حوارَه الضمنِيّ فِي قصِيدتِه مع المرأةِ، فيفصحُ عَن الأَملِ فِي العثورِ عَلَى هُويَّته داخلِ القبِيلةِ, محَاولًا الانصهارَ فِي ذاتِها، بعدما تنَازلَ عَن ذاتِهِ مِن أَجلِ الذاتِ العُليا, وهذا الحسُّ فِي الرغبةِ هو الَّذِي يُبعَثُ مِنه الشِّعْرَ بصورةٍ مأسَاويَّةٍ تحمّلُ بين طياتِها الصراعَ الَّذِي يعتمرُ فِي أفكارِهِ ومشاعرِهِ, لاثباتِ ذاتِه المندثرةِ عبَّرَ تحقيقِ هُويَّتِه الذاتِيَّةِ مع ذاتِ القبلِيَّةِ لتخلقَ "عَالماً حَالماً بأَمنِية الاندماجِ النفسِيّ والكونِيّ؛ لأَنَّ السياقَ الاجتمَاعِيَّ يفرضُ عَلَى الذاتِ نمطاً مِن الوجودِ لا يخلو مِن تقويضِ لبعضِ مفاهِيمِ الذاتِ, وهَذه المفاهيمُ تتأسسُ عليها علاقةُ الذاتِ بنفسِها, وتحاولُ أن تستعِيدَها فِي عالمِها الخاصِّ مِن خلال الفعلِ الإبداعِيّ" **(قطب، (د. ت): ٢)**, إذ إنَّ التألمَ يقترنُ بعمليةِ استنهاضٍ أو استثارةٍ لطبيعةِ عَنْتَرَةِ الاخلاقِيَّةِ الدفينةِ, وكأن من شأنِ المعاناةِ أَن تحركَ أَعماقَ وجودِه, وأَن تطلقَ طاقتَه المحبوسةَ, وأَن تحررَ أَنبلَ ما لديه مِن قوّى روحِيَّةٍ، ومِن هنا فأَنَّ كُلَّ مِن صهرتَه المحنُ لا بدّ أن يكونَ أَصلبَ عودٍ مِن غيرِه؛ لأَنَّه قد مرّ بتجربةِ الألمِ الَّتِي هِي المحكُّ الأَوحدُ لامتحانِ معادنِ الرجالِ, وحين يخرجُ المرءُ مِن معركةِ الآلامِ ظافراً منتصراً, فأَنَّه لن يجدَ مِن بعد شيئاً عسِيراً لا طاقةَ له به؛ لأَنَّه سيكونُ عندئذ قد اختزنَ فِي باطنِه مِن الطاقاتِ الروحِيَّةِ ما يستطيعُ معه مواجهةَ أَقسى المحنِ، وأَقسى التجاربِ،

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م/١٤٤٥هـ

فالإنسَانُ الَّذِي انصهرتْ نفسُهُ فِي بوتقةِ الآلامِ هو كالقوسِ المشدودِ الَّذِي ينتظرُ السهمَ **(إبراهيم، ١٩٦٩م: ٢٥٢)**, أَو هو فِي الحقيقةِ إنسَانٌ مجربٌ قد زودته الحياةُ بأَسمى قوّةٍ أخلاقِيَّةٍ.

وهكذا تجلّى نسقُ الانتماءِ المركزِيّ القبلِيّ فِي شِعْرِ عَنْتَرَةَ بنِ شدَّادٍ وسِيلةً مهمةً مِن وسائلِ التواصلِ مع المُتلقِي بِكُلّ ما تحمّله مِن دلالاتٍ وإشاراتٍ ثقَافيَّةٍ، أُتخذ منها سبِيلاً للتعبِيرِ عَن غَاياتِهِ وأَغراضِهِ، والَّتِي توارى خلفَها مضمرِه النسقِيّ الَّذِي عملتْ ثقَافتُه عَلَى تمريرِه، وهو الانصهارُ فِي بوتقةِ القبِيلةِ، تشكّلت مِن خلالِها تحولاتُ الهُويَّةِ مِن العبودِيَّةِ إِلَى الاعترافِ القبلِيّ.

٣. النَّسقُ المكانِيُّ:

إنَّ التجاربَ الشعرِيَّةَ فِي العصرِ الجَاهلِيّ لم تأتِ إلَّا بالجدلِ الَّذي يُفرضُ عَلَى الشَّاعِرِ الاصطدامَ بالواقعِ المؤيدِ للفكرِ والسلوكِ، وهذه التجاربُ آلت إِلى مواجهةٍ شملتِ الوجودَ المكانِيَّ؛ لأَنَّها متشعبةٌ ومتباينةٌ، فصدّاها يبقى مؤهلاً فِي أطرِ حياةٍ حافلةٍ بالتقلباتِ الَّتِي تضعُ صاحبَها الشَّاعِرَ بإزاءِ متناقضَاتٍ تحفرُ آثارَها العمِيقةَ فِي أديمِ إنتاجِهِ الشِّعرِيّ **(محمود، ٢٠١٣م: ٢٠٥)**، فتنطلقُ أَهميَّةُ النَّسقِ المكانِيّ فِي شِعْرِ عَنْتَرَةَ بنِ شدَّادٍ مِن حيثُ كوّنه مُؤثراً تصويرِيّاً يبعثُ فِي نفسِ الشَّاعِرِ القدرةَ عَلَى التأملِ وتنوعِ الأساليبِ الَّتِي يُعبّر بها عَن تجاربِهِ ومشَاعِرِهِ ويحولُها إِلى عَالمِهِ الخاصّ، فالأطلالُ بِوصفِها نَسقاً مكانِيّاً خاصّاً مِن مرصوداتِ عَنْتَرَةَ الشِّعرِيَّةِ تتميزُ بأَنَّ لها "حساسِيتها وجماليتها فِي الافضِيَّةِ الإبداعِيَّةِ... حيثُ تتحولُ داخلَ نطاقِ هذهِ الأَفضِيَّةِ إِلى حيواتٍ لها أَنشطتُها، وفعالياتُها، ووظائفُها المتنوعةُ، وتكتسبُ أَهميَّةً خاصّةً فِي علاقتِها بالمبدعينَ الَّذِين ينفتحونَ عَلَى حساسِيَّةِ الأَمكنةِ، وجماليَّتِها وشعريَّتِها، ويتوغلون فِي مجاهيلِها؛ بحثاً عَن أَسرارِهم الإبداعِيَّةِ" **(عبيد، ٢٠٠٩م: ٨٨)**.

والأَطلالُ فِي الأَدبِ العربِيّ قصّةٌ ذاتُ شجونٍ، فقَد كان الوقوفُ عَلَى الديارِ الدوارسِ، ومخاطبةِ الربوعِ الخوالِي، سمّةَ العصرِ الجاهلِيّ وهواه، إذا كان لكُلّ عصرٍ هوى، ولكن هذهِ الظاهرةَ تضاربتْ فِيها الآراءُ، واختلفتِ التوجهَاتُ فِي ادراكِ مكوناتِها؛ لذلك تعددتْ دلالاتُ المكانِ فِي سياقَاتِ الشِّعْرِ الجَاهلِيّ، وعَلَى الرغمِ من ذلكَ إلَّا إنَّ النَّسقَ المكانِيَّ يبرزُ عَلَى أنَّه ثيمّةٌ مركزِيَّةٌ تحمّلُ دلالاتٍ ثقَافيَّةٍ فِي فضاءِ شِعْرِ عَنْتَرَةَ؛ بوصفِها إضاءةً داخلِيَّةً فِي نفسِيتِهِ، فهو يعيشُ مُعطِياتِ الواقعِ المكانِيّ، وما يضمُهُ من نوازعِ الإحساسِ الضائعِ، وهذا ما جسّده عَنْتَرَةُ وهو يُوظفُ تلكَ (الدارَ) شِعْرِيّاً، مشيراً إِلى الأَبعادِ الثقَافيَّةِ والرمزِيَّةِ الَّتِي حوتّها تلكَ الدارُ فِي قولِه: **(الكامل)**. **(التبريزِيّ، ١٩٩٢م: ١٤٧.١٥٠)**

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م/١٤٤٥هـ

هلْ غَادرَ الشُّعراءُ مِن مُتَرَدَّمِ ... أَمْ هَـلْ عرفْتَ الـدارَ بَـعْدَ تَوَهُّمِ
أَعْيَاكَ رَسْـمُ الـدَّارِ لم يَتَكَلَّمِ ... حَتَّى تَكَلَّـمَ كالأَصـمِّ الأَعْجَـمِ
وَلَقَدْ حبستُ بها طويلاً ناقتي ... أَشكـو إِلـى سُفْعٍ رواكـدَ جُثَّمِ
يا دارَ عَبْلَةَ بالجِواءِ تكلَّمِـي ... وَعِمِي صَباحاً دارَ عبلةَ واسلمِي
دَارٌ لآنِسَةٍ غَضِيضٍ طَـرْفُها ... طَـوعِ الْعَنـاقِ لَذِيذةِ المُتَبَسِمِ
فَوقَفْتُ فيـها ناقتي وَكَأَنَّـها ... فَدنٌ لَأَقْضـيَ حاجَـةَ المُتَلَـوِّمِ
وتحُـلُّ عبلَةُ بالجِـواءِ وأَهلُنا ... بالحَـزْنِ فالصَّمَّـانِ فالمُتَثَلَّـمِ
حُيِّيتَ من طَلَلٍ تَقادَمَ عَهْدُهُ ... أَقـوى وأَقْفَـرَ بَعْـدَ أُمِّ الهَيثَـمِ

شكّلَ النَّسقُ المكانِيُّ فِي هذهِ الأَبياتِ بؤرةَ استقطابٍ لمعلقةِ عَنْتَرَةَ بنِ شدَّادٍ، إذ عملَ الاستقطابُ النَّسقُ المكانِيُّ عَلَى تصعيدِ وتيرةِ النصِّ الشِّعريِّ, ليمنحَه بُعداً ثقافِيَّاً, ويضفي عَلَيه نَّسقاً خاصّاً لتجربتِه الشِّعْرِيَّةِ بالوقوفِ على الطللِ القائمِ على أُسسِ اختلافٍ يتجاوزُ الوقوفُ على الأَطلالِ في العرفِ الجَاهِلِيِّ, فلكُلِّ شَّاعرٍ طريقةٌ خاصّةٌ فِي التعبيرِ عَن حياتِه، إذ نستطيع أَن نلمسَ الإيحاءَ الثَّقافِيَّ والطابعَ المميزَ لدى عَنْتَرَةَ, إذ مثّلَ المكانُ نَّسقاً مضمراً متعلقًا بنفسيتِه، يخالفُ ويتضادُ مع ما تقدِّمَه القصيدةُ الجاهليَّةُ مِن وقفةٍ طلليةٍ قائمةٍ عَلَى ذكرِ المنازلِ وآثارِها، وهو بمثابةِ نَّسقٍ ثقافيٍّ ونفسِيٍّ وعضويٍّ مع نحنُ القبيلةِ، فظروفِ عَنْتَرَةَ بوصفِه عبداً لم يتمَّ الاعترافُ بنسبِه، لا تفرضُ عَليه أن يتغنى بديارِ القبيلةِ؛ لأَنَّها لم تعترفْ به إِلَّا عند ضربِ السيوفِ، فمِن خلالِ ذلكَ نلمحُ هذا الاندماجَ المكانِيَّ مع روحيَّةِ الشَّاعرِ ومكنوناتِه النفسيَّةِ, فهذا الامتزاجُ المكانِيُّ النصيُّ يُمثلُ أَداةً فاعلةً فِي كشفِ الخبايا النصِّيَّةِ والَّتِي تُعبِّرُ عَن البوحِيَّةِ المكنونةِ فِي نفسِ الشَّاعرِ، وجعلها متنفساً يُعبِّرُ مِن خلالِها عَن أَهوائِهِ المكبوتةِ فِي داخلِه, وهذا الاتصالُ العلائقيُّ بينَ المكانِ ونفسِ الشَّاعرِ يعودُ سببَه إلى إنَّ " تحددَ ابعادِه تحديداً معيناً, وهذا المكانُ (المكان الفنّيّ) مِن صفاتِه المكان أَنّه متناه, غيرَ أَنَّه يحاكِي موضوعاً لا متناهيّاً إِلَّا وهو العالمُ الخارجِيُّ الَّذِي يتجاوزُ حدودَ العملِ الفنيّ" **(باشلار، ٢٠٠٦م: ٦٩)**، الَّذِي يقومُ بالبحثِ عَن مستوياتِ الأَنساقِ الفنيَّةِ للفنِّ الشعريِّ المخبوءِ تحتَ حياتِه الشعريَّةِ, فيبدأ الشَّاعرُ معلقتَه بالسؤالِ الاستنكاري عَن الشُّعْراءِ، ومِن ثُمَّ يستفهمُ عَن الدارِ بعد أَن ضاعتْ معالمُها، ولم يتصرفْ عليها، فالدارُ الَّتِي كانتْ محبوبتُه تسكنُها أَصبحتْ خاليَّةً مِن أَهلِها, وأَنَّ رسمَها قد تغيرَ لدرجةِ أَنَّه لم يستطعْ التعرفَ عليها إِلَّا بعد التثبتِ فيها, وقد اتعبَه العثورُ عَليها

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م/١٤٤٥هـ

فلم تستبنْ الدارُ إلَّا بعدِ انكارٍ وتثبيتٍ؛ وهذا هو بيانٌ منه بأَنَّه ليس مثلُ الشُّعراءِ الَّذين وقفوا عَلَى الأَطلالِ؛ لأَنَّه لم يتمَّ الاعترافُ به، ولم يتحققْ الانتماءُ حتى يتغنى بديارِ القبيلةِ.

وجعلَ عَنْتَرَةُ قصيدتَه تدورُ فِي فلكِ الديارِ، إذ عمدَ ذكرَ كلمةِ الدارِ أَكثرَ من مرةٍ، ووردتْ كلمةُ الطللِ فِي البيتِ الثامنِ، فشكلتْ الدارُ ثيمةَ القصيدةِ لديه ونَسقاً مهماً من أَنساقِ البنيةِ الشعريَّةِ، فتداعتِ الصورُ وانهالتْ ذكرياتُ الامكنةِ لديه، وهو يشخذُ ذاكرتَهُ بالفيضِ الصوريّ الَّذِي يتكونُ من المخزونِ الذاكراتيّ الَّذِي عملَ فيه المكانُ عَلَى اختراقِ ذكرياتِ الشَّاعرِ وحنينِهِ لمكانِ حبيبتِهِ عبلةَ, ممَّا ادى إلى إشارةٍ ثقافيَّةٍ ضخّها الشَّاعرُ فِي متبناياتِ نصّهِ, بقيةِ اثراثِهِ بالدلالاتِ النسقيَّةِ الرامزةِ للمكانِ, الطامحةِ إلى تكوينِ إبلاغٍ خطابيّ ينسجمُ مع بواعثِ المكانِ ودلالاتِهِ الرمزيَّةِ فِي ايجادِ بنيةٍ شعريَّةٍ حاضنةٍ لمظاهرِ الأَثرِ الجماليّ فِي نسقيةٍ شعريَّةٍ متناميَّةٍ.

إنَّ طبيعةَ نَّسقِ عَنْتَرَةَ الثقافِيَ وارتباطِه بقيمِ الإيحاءِ المكانيّ كان كفيلاً بإيجادِ مُعبّرٍ لدلالةِ الحزنِ وحالةِ البكاءِ الَّتِي تجتاحَه لحظةَ وقوفِهِ، تبعاً للمضمونِ النفسيّ والشكّلِ الوجدانيّ فِي نسيجٍ تصويريّ يتصدرُ الفعلَ الثقافِيَّ واجهتَه الأَساسيَّةِ؛ لتبلغَ مراتبَ التلقِي عَلَى النحوِ الَّذِي تتكشفُ فِيه ملامحُ الحزنِ حتى وصلَ به الأَمرُ إلى حدِّ البكاءِ عند سماعِه بكاءِ حمامةٍ فِي أَيكةٍ؛ لتمثلَ التوترَ والصراعَ، إذ يقول: (الكامل)، (التبريزيّ، ١٩٩٢م: ١٢٥.١٢٦)

طالَ الثَّواءُ عَلَى رُسومِ المَنْزِلِ ... بينَ اللَّكيكِ وبينَ ذاتِ الحَرْمَلِ
فوقفْتُ فِي عَرَصاتِها مُتَحَيِّراً ... أَسَلُ الدِّيارَ كفِعْلِ مَنْ لم يَذْهَلِ
لَعِبَتْ بِها الأَنواءُ بعدَ أَنيسِها ... والرامِساتُ وَكُلُّ جَوْنٍ مُسْبِلِ
أَفَمِنْ بُكاءِ حَمامَةٍ فِي أَيْكَةٍ ... ذَرَفَتْ دُموعُكَ فَوقَ ظَهْرِ المَحْمَلِ
كالدُّرِّ أَو فَضَضِ الجُمانِ تَقَطَّعَتْ ... مِنْهُ عَقائدُ سِلْكِهِ لَمْ يُوصَلِ
لمَّا سَمِعْتُ دُعاءَ مُرَّةَ إِذْ دَعا ... وَدُعاءَ عَبْسٍ فِي الْوَغى ومُحلَّلِ

يدخلُ هذا النصُّ من بين النصوصِ الشعريَّةِ ذات الأَثرِ الثقافِيّ الكثيفِ المتعددِ الدلالاتِ؛ لأَنَّه منتجٌ بنحوٍ ثقافِيّ فصحَ به عَنْتَرَةُ عمَّا فِي قلبِهِ مِن ألمٍ وحزنٍ، وقد بدتْ ألفاظُ الطبيعةِ **(الأَنواءُ، والرامِساتُ، وَجَوْنٌ)** تفصحُ عَن دواعِي إحساسِه المنهكِ، وما فعلتْ تلكَ الطبيعةُ بالديارِ، فهو يتألمُ لصورِ الخرابِ حتى أَنَّه سمعَ حمامةً تنوحُ فبكى، فسَالتْ دموعُه فوق محمّلِ سيفِه؛ لمّا تحمّله صورةُ الحمامِ مِن دلالاتٍ مأسَاويَّةٍ، هِي غالباً ما تكون بواعثَ إثارةِ بكاءِ الشُّعْراءِ وهِي بذلك " تثيرُ فِي بكائها أَو نواحِها شجونَهم، وتهيجُ فِيهم لوعةَ البعدِ والفراقِ، وربّما كانتْ هذهِ الآثارُ بسببِ التعاطفِ

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م /١٤٤٥هـ

الَّذِي كان يحسُّ به الشَّاعِرُ تجاهَ هذا الحيوانِ الَّذِي كُتِبتْ عَليه الرحلةُ فتحمّلَها، كما كُتِبتْ عَلَى هذا الشَّاعِرِ الَّذِي ارتبطَ بالغيثِ والكلأ، فكان يتعقبُه بِكُلِّ موقعٍ، ويسعى إليه بِكُلِّ مكانٍ" **(القيسيّ، ٢٠٠٤م: ١٥٣)**؛ لِتُجسدَ معاناتَه الَّتِي كانتْ شديدةَ الوقعِ فِي نفسِه؛ لأَنَّها نابعةٌ مِن غربةِ المكانِ الَّذِي يعيشُ فِيه، ومِن إحساسِهِ الروحِيّ والمادِيّ بأنَّه غريبٌ عَن القبيلةِ الَّتِي يدافعُ مِن أجلِها، ويشاركُهم أَفراحَهم وأَحزانَهم، وهو بذلك يتجاوزُ العرفَ الخطابِيّ الجاهلِيّ عندما يصفُ ديارَ الحبيبةِ، وهِي فِي الأَسَاسِ ليستْ ديارَه ولا ينتمِي إليها، وإنَّما هِي ديارُ مَن يزعمُ بأَنَّها تحبُهُ.

تميزتْ رؤيةُ عَنْتَرَة إلى هذهِ الطبيعةِ بتفاصيلِ بُعدها الثقافِيُّ الدالّ عَلَى جمالِ تشبيهِ دمُوعِه بفضضِ الجمانِ وانفراطِ العقدِ وانخراطِهِ، يوحِي بحالةِ الضياعِ، والقلقِ الَّتِي يعانِيها فِي ذاتِهِ فِي وجودِها ورغبتِها الحيويةِ، إذ عَملتْ بنيَّةُ الطبيعةِ عَلَى إثارةِ تداعِياتِ عَنْتَرَة بِمنحِ نصِّه معطِياتٍ دلالِيَّةٍ ذاتِ فعلٍ ثقافِيٍّ يعززُ وجودَه, ويسمحُ له بِممارسةِ أنشطةٍ مختلفةٍ, أيّ أَنَّ حيازةَ هذا المكانُ سيساعدُ عَلَى تشكيلِ مفاهيمِه، وتصوراتِه المرتبطةِ بالعالمِ, الأَمرُ الَّذِي يجعلُ مِن المكانِ حقيقةً سيميائِيَّةً تدورُ المعانِي والنصوصُ حولِها. **(قاسم، ٢٠٠٢م: ٣٧)**

وصفوةُ القولِ: نلحظُ أَنَّ عَنْتَرَة قد عارضَ التَّأسيسَ الثقافيَّ للقصيدةِ الجاهلِيَّةِ عند ذكرِ ديارِ الحبيبةِ، عِبّر توجهِه نحو حقيقةٍ جديدةٍ تمثلتْ بالأَصلِ الثقافِيّ الَّذِي ينطلقُ مِنه فِي بدايةِ الوقوفِ عَلَى الطللِ القائمِ عَلَى أَسَاسِ مقصدِيَّةِ الشَّاعِرِ، وهِي ذكرُ ديارٍ لا تعترفُ بِانتمائه لها؛ لأَنَّ ثقافةَ ظهورِ الأَطلالِ فِي الشِّعرِ الجَاهلِيّ تقومُ عَلَى ذكرِ ديارِ قبيلةِ الحبيبةِ والَّتِي ينتمِي إليها الشَّاعِرُ، وهذا لم يتحققْ عند شاعرِنا عَنْتَرَة بنِ شدَّادٍ.

خاتمةُ البحثِ ونتائجهُ:

١. برزَ نسقُ الفخرِ الذاتِيّ؛ بِوصفِهِ رؤيةً انطلقتْ مِن المجتمعِ واشكالياتِه، فشكّلَ عند عَنْتَرَة بنِ شدَّادٍ نسقاً ثقافِيّاً وهَاجساً مؤرّقاً، إذ كانتْ قصصُ الحربِ بمثابةِ إشَاراتٍ ثقافِيَّةٍ قد وظفَها تقنِيةَ إقناعِيَّة مُعبّرةً عَن ذاتِهِ، مستغلاً شجاعتِه وفروسيَّتِه؛ بِوصفهما مرآةً عَاكسةً لرؤيتِه، ومواقفِه إزاء قضيةَ الاغترابِ، والوجودِ الشاغلةِ له فِي ظلِ واقعٍ مأزومٍ لا يهتم كثيراً بـ (الأَنا)، فهو شَّاعِرٌ حَاذِقٌ، وفَارِسٌ بطلٌ يعرفُ كيف يستغلُ المفرداتِ ذاتِ البُعدِ الثقَافِيّ للتعبِيرِ عَن بطولاتِه، ومواقفِه الَّتِي مثلتْ علامةً ثقَافِيَّةً خَارقةً في شِّعْرِهِ الحربِيّ.

٢. اتضاحُ دورَ نَّسقَ الانتماءِ فِي شِّعْرِ عَنْتَرَة عَلَى أَنَّه قناةٌ ناقلةٌ لمفهُومِ الثقَافةِ الَّتِي كانتْ فِي عصرِه، بما تحمّله مِن أنسَاقٍ مضمرةٍ اتجاهِ أَغربةِ العَرَبِ أَبَانَ معاملتُهم مِن قبلِ المجتمعِ, فظهرَ الانتماءُ

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م/١٤٤٥هـ

الجزئيُّ (العُرقِيّ) تياراً منبثقاً من التياراتِ الشعريَّةِ الَّتِي لجأ إليها عَنْتَرَةُ؛ لما تدّلُ عَلَى أَبعادٍ ثقَافِيَّةٍ وظفَها خدمةً لمعنى القصائدِه, وغايةً دلاليَّةً، ومنافعَ قصدِيَّةٍ, فالأَصلُ الثقَافِيُّ الَّذِي ينطلقُ منه شَّاعِرُنا فِي بدايةِ انتمَاءِه للعبودِيَّةِ يقومُ على أَسَاسِ الوظِيفةِ الحجَاجِيَّةِ لإِقنَاعِ الآخرِ بتحريرِ النسبِ, بعد أَن فشلتْ محَاولاتُه فِي إِقنَاعِ أبيه لذلك, فبرزَ الخطَابُ موجهاً بِصورةٍ مبَاشرةٍ لمحبوبتِهِ عبلةَ، وبِصورةٍ غيرِ مباشرةٍ لقومِهِ, فالنسقُ الثقَافِيُّ وسلطةُ العبودِيَّةِ مسيطرةٌ عَلَى تفكيرِه, لذلكَ كانتْ دارُ عبلةَ هِي المُلتجئُ الَّذِي بحثَ فِيه عَن حالةِ الاكتمالِ لإثباتِ هُويَّتَه، واختراقَ الحواجزِ العَائقةِ لاندمَاجِه الثقَافِيّ والاجتمَاعِيّ بالقبِيلةِ.

٣. تصدرُ النَّسقُ المكانِيُّ روافدَ الدعمِ الفنّيّ والثقّافِيّ لنصوصِ عَنْتَرَةَ؛ لكونه قائماً عَلَى أَسَاسِ مقصدِيَّةِ الشَّاعِرِ، وهِي ذكرُ ديارٍ لا تعترفُ بانتمائِه لها؛ لأَنَّه مرتبطٌ بأَحداثِ ورؤى ثقَافِيَّةٍ عَملتْ عَلَى شحنِ ذهنيةِ الشَّاعِرِ بقوّةِ الاستشعارِ، وبلاغةِ التصويرِ الَّذِي خلَّفه الفعلُ الثقَافِيُّ فِي نسيجِ النصِّ الَّذِي يُسربُ للمتلقي المحمولاتِ المعرفِيَّةَ المختلفةَ.

مصادر البحث ومراجعه:

١. إبراهيم، زكريا: المشكلة الخلقيَّة (مشكلات فلسفِيَّة)، دار مصر للطباعةِ، القاهرة، ١٩٦٩م.

٢. ابن فارس, أَبو الحسن أحمد, (ت ٣٩٥هـ): معجم مقايس اللُّغَة, تحقيق عبد السلام هارون, دار أَحياء الكتب العَرَبِيّة, (درت).

٣. ابن منظور، محمد بن مكرم (ت٧١١هـ): لسانُ العَرَب، دار صَادر للطباعةِ والنشرِ، بيرُوت . لبنَان، ج١٠، ط٥، ٢٠٠٥م.

٤. أَبو ديب، كمال: في الشعرية، مؤسسة الأَبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٧م.

٥. أحمد، عدنان، ورباح علي: الرفض والتمرّد فِي شِعْرِ أَغربة العرب الجَاهليين وعبيدهم، مجلة تشرين للبحوث والدرّاسَات العلميَّة، المجلد: ٣٠، العدد:٢، ٢٠٠٨م.

٦. أسعد، يوسف ميخائيل: سيكولوجِيَّة الإبدَاع فِي الفنّ والأَدَب، دار الشؤون الثقَافِيَّة، بغداد، ١٩٨٤م.

٧. باشلار، غاستون: جماليات المكان، ترجمة، غالب هلسا، مجد المؤسسة للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط٦، ٢٠٠٦م.

٨. بعلبكِيّ، رمزي منير، ومجموعة مؤلفين: اللُّغَةُ والهُويَّةُ فِي الوطنِ العَرَبِيّ إشكاليّات تاريخِيَّة وثقَافِيَّة وسياسِيَّة، المركز العَرَبِيّ للأبحاثِ والدرّاسَاتِ السياسِيَّة، بيرُوت، ط١، ٢٠١٣م.

٩. بعلي، د. حفناوي رشيد: مدخلٌ فِي نظرِيَّة النقدِ الثقَافِيّ المقارن، الدار العَرَبِيّة للعلومِ، ناشرون، بيرُوت، ط١، ٢٠٠٧م.

١٠. بعلي، د. حفناوي رشيد: مسَارات النقد ومدارت ما بعد الحداثة فِي ترويض النصِّ وتقويض الخطَاب، دروب للنشر والتوزيع، عمان، ط١، ٢٠١١م.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م/١٤٤٥هـ

١١. بهنسي, عفيف: أثر العَرَب فِي الفنِّ الحديثِ, مطبعة الجزيرة, دمشق, ١٩٧٠م.
١٢. بوقرة, نعمان: المصطلحَات الأَسَاسيَّة فِي لسانيَّات النصِّ وتحليل الخطَاب, عالم الكتب الحديث للنشرِ والتوزيعِ, عمان, الأَردن, ط ١, ٢٠٠٦م.
١٣. التبريزي، الخطيب: ديوان عَنتَرَةُ بْنُ شدَّادٍ، وضع هوامشه، مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
١٤. التميميّ، عبدالله حبيب، سحر كاظم حمزة الشجيريّ: دونِيَّة المرأة فِي المجتمع الجاهليّ وفوقِيها فِي الشِّعْرِ، مجلة جامعة بابل العلوم الانسانيَّة، المجلد٢٢، العدد٢، ٢٠١٤م.
١٥. التميميّ، عبدالله حبيب، سحركاظم حمزة الشجيريّ: سيرورة النقد الثقَافِيّ عند الغرب، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسَانِيَّة، المجلد٢٢، العدد١، ٢٠١٤م.
١٦. حور، محمد إبراهيم: النزعةُ الإنسَانِيَّة فِي الشِّعْر العَرَبِيّ، دار اليقضة العَرَبِيّة، (د ـ ت)
١٧. الدليميّ، صبا عصام نومان: الذات والآخر فِي شِعْر عمر بن أبي ربيعة، رسالة ماجستير، جامعة بابل، كليَّة التربيَّة، ٢٠١٠م.
١٨. الرولِي، د.ميجان، د.سعد اليازعي: دليل النَاقِد الأَدَبيّ . اضاءة لأكثر من خمسين تياراً ومصطلحاً نقديَّاً معاصراً، المركز الثقَافِيّ العَرَبِيّ، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ٢٠٠٠م.
١٩. زيتونيّ، عبد الغني: النزعة الذاتِيَّة فِي الشِّعْر الجَاهلِيّ، مجلة مجمع اللُّغَة العَرَبِيّة الأُردنِيّ، العدد: ٣٧، ١٩٧٩م.
٢٠. الشرع, د. فائز: أنسَاق التداول التعبِيريّ(دراسةٌ فِي نظم الاتصال الأَدَبِيّ)، دار الشؤون الثقَافِيَّة, بغداد, ط١, ٢٠٠٩م.
٢١. عبد الفتاح، أَحمد يوسف: قراءةُ النصِّ وسؤالُ الثقَافةِ" استبداد الثقافة ووعي القارئ بتحولات المعنى"، عالم الكتب الحديث، أَربد، جدار الكتاب العالمِي، عمان، الأَردن، ط١، ٢٠٠٩م.
٢٢. عبد الفتاح، أَحمد يوسف: لسانيَّاتُ الخطَاب وأَنسَاق الثقَافة، منشورات الاختلاف، الدار العَرَبِيّة للعلومِ، بِيرُوت، لبنَان، ٢٠١٠م.
٢٣. عبيد، محمد صابر: شيفرة أدونيس الشِّعرِيَّة، الدار العربِيَّة للعلوم ناشرون، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
٢٤. عثمان، اعتدال: جمَاليَّات المكان، مجلة أقلام، ع٢، فبراير، ١٩٨٦م.
٢٥. عصفور، جابر: فِي محبة الأَدَب، مكتبة الأُسرة، مصر، (د، ط)، ٢٠٠٣م.
٢٦. عليمات، د. يوسف: جماليات التحليل الثقافي(الشعر الجاهلي أَنموذجاً)، دار الفارس، للنشر، عمَّان، ط١، ٢٠٠٤م.
٢٧. عليمات، د.يوسف: النسق الثقَافِيّ . قراءةٌ ثقافِيَّة فِي أَنسَاق الشِّعْر القديم . عالم الكتب الحديث، أَربد، جدار الكتاب العالمِيّ، عمان، الأَردن، ط١، ٢٠٠٩م.
٢٨. الغذامِيّ, عبدالله محمد: النقدُ الثقَافِيّ, قراءةٌ فِي الأَنسَاقِ الثقَافِيَّة العَرَبِيَّة, المركز الثقَافِيّ العَرَبِيّ, المملكة المغربِيَّة, ط٢, ٢٠٠١م.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م/١٤٤٥هـ

٢٩. الفراهيدِيّ، الخليل بن أَحمد (ت١٧٥هـ): معجم العِين، تحقيق عبد الحمِيد هنداوِيّ، دار الكتب العلمِيَّة، ج٤، بِيرُوت . لبنَان، ط١، ٢٠٠٣م.

٣٠. فوكو، ميشيل: جنيالوجيا المعرفة، ترجمة أحمد السطاتِيّ، عبد السلام بنعيد العالي، دار توبقال للنشرِ، ط١، ١٩٨٨م.

٣١. قاسم، سيزا: القارئ والنصّ، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.

٣٢. قطب، د. سيد محمد: الآخر فِي الشِّعْرْ العذرِيّ، (دِرَاسةٌ فِي نونيَّةِ عروة بن حزام) دِرَاسةٌ منشورةٌ عَلَى شبكةِ الإنترنت: sites.google.com.

٣٣. قيسي، د.نوري حمودي: الطبيعة فِي الشِّعر الجاهلِيّ، تنقيح، د. محمد بن عبد اللطيف، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

٣٤. كاظم، د. نادر: تمثيلات الآخر (صورةُ السود فِي المتخيلِ العَرَبِيّ الوسِيط)، المركز الثقَافِيّ العَرَبِيّ، بِيرُوت، لبنَان، ط١، ٢٠٠٤م.

٣٥. لطيف، م.حسن سعد: الفخر بين الذات والآخر (قراءةٌ فِي شِعْرِ قيس بن الحطيم)، مجلة جامعة ذي قار، العراق، المجلد ٧، العدد:٣، ٢٠١٢م.

٣٦. لومان، نيكلاس: مدخلٌ إلى نظريَّةِ الأنسَاقِ، ترجمة، يوسف فهمِي حجَازِيّ، منشورات الجمل، بغداد، ط١، ٢٠١٠م.

٣٧. محمد، د حنان ابو القاسم: شِعْريَّة الأَنسَاق الثقَافِيَّة فِي معلقةِ لبيد بن ربيعة، (مقَاربة نقدِيَّة ثقافِيَّة)، مجلة كليَّة اللُّغَة العَرَبِيّة باسيوط، العدد:٤٠، ج٢، ٢٠٢١م.

٣٨. محمود، عبد الرزاق خليفة: المرئيُّ واللامرئيُّ فِي الشِّعْر العَرَبِيّ القديم، دار الشؤون الثقَافِيَّة العامّة، بغداد، ط١، ٢٠١٣م.

٣٩. مروة، حسين: دراساتٌ نقدِيَّة فِي ضوءِ المنهجِ الواقعِيّ، مكتبة المعَارف، بِيرُوت، ١٩٧٢م.

٤٠. مصطفى، حسِيبة: المعجم الفلسفِيّ، دار اسامة للنشرِ والتوزِيع، عمان، ط١، ٢٠٠٩م.

٤١. الملائكة، نازك: قضايا الشِّعْر المعاصر, دار العلم للملايين, بِيرُوت, ط٥, ١٩٧٨م .

٤٢. الوائليّ، كريم: الشِّعْر الجاهلِيّ, (قضاياه وظواهره الفنيَّة)، منشورات اتحاد كتّاب العَرَب, دمشق, ٢٠٠١م.

٤٣. وهبة, مراد: المعجمُ الفلسفِيّ, دار قباء الحديثة للطباعةِ والنشرِ, القاهرة, ط ٥, ٢٠٠٥م.

44. Ibrahim, Zakaria: The moral problem (philosophical problems), Misr Printing House, Cairo, 1969 AD.

45. Ibn Faris, Abu Al-Hasan Ahmad, (d. 395 AH): Dictionary of Language Standards, edited by Abdul Salam Haroun, Dar Ihya Al-Kutub Al-Arabiyya, (Dart).

46. Ibn Manzur, Muhammad bin Makram, (d. 711 AH): Lisan al-Arab, Sader Printing and Publishing House, Beirut, Lebanon, vol. 10, 5th edition, 2005 AD.

47. Ahmed, Adnan, and Rabah Ali: Rejection and Rebellion in the Poetry of the Pre-Islamic Arabs and Their Slaves, Tishreen Journal for Scientific Research and Studies, Volume: 30, Issue: 2, 2008 AD.
48. Asaad, Youssef Mikhail: The Psychology of Creativity in Art and Literature, House of Cultural Affairs, Baghdad, 1984 AD
49. Bachelard, Gaston: Aesthetics of Place, translated by Ghaleb Hilsa, Majd Al-Mu'assa for Studies, Prose and Distribution, Beirut, 6th edition, 2006 AD
50. - Baalbaki, Ramzi Mounir, and a group of authors: Language and identity in the Arab world: historical, cultural, and political problems, Arab Center for Research and Political Studies, Beirut, 1st edition, 2013 AD
51. Al-Tamimi, Abdullah Habib, Sahar Kazem Hamza Al-Shujairi: The Process of Cultural Criticism in the West, Babylon University Journal, Human Sciences, Volume 22, Number 1, 2014 AD.
52. -Al-Tamimi, Abdullah Habib, Sahar Kazem Hamza Al-Shujairi: The inferiority of women in pre-Islamic society and their superiority in poetry, Babylon University Journal of Human Sciences, Volume 22, Number 2, 2014 AD.
53. Al-Dulaimi, Saba Issam Numan: The Self and the Other in the Poetry of Omar Ibn Abi Rabia, Master Thesis, University of Babylon, College of Education, 2010 AD.
54. Al-Rawli, Dr. Megan, Dr. Saad Al-Yazei: The Literary Critic's Guide - Illumination of more than fifty contemporary critical trends and terms, Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco, 2nd edition, 2000 AD.
55. Al-Sharaa, D. Fayez: Patterns of Ebiri Circulation (A Study in Literary Communication Systems), House of Cultural Affairs, Baghdad, 1st edition, 2009 AD.
56. Al-Ghadami, Abdullah Muhammad: Cultural Criticism, A Reading in Arab Cultural Formats, The Arab Cultural Center, Kingdom of Morocco, 2nd edition, 2001 AD.
57. Al-Farahidi, Al-Khalil bin Ahmad: Al-Ain Dictionary, investigation by Abdul Hamid Hindawi, Dar Al-Kutub Al-Alamiyyah, Part 4, Beirut-Lebanon, 1st edition, 2003 AD.
58. -Angels, Nazik: Cases of Contemporary Poetry, Dar Al-Ilm for Millions, Beirut, 5th edition, 1978 AD.
59. -Al-Waeli, Karim: Pre-Islamic Poetry, a study, publications of the Arab Writers Union, Damascus, 2001.
60. -Baali, Dr. Hafnawi Rashid: An Introduction to the Theory of Comparative Cultural Criticism, The Arab House of Sciences, publishers, Beirut, 1st edition, 2007 AD.
61. Baali, Dr. Hafnawi Rasheed: Trajectories of Criticism and Postmodernism in Taming the Text and Undermining the Discourse, Daroob for publication and distribution, Amman, 1st edition, 2011 AD.
62. Bahnasi, Afif: The Impact of the Arabs on Modern Art, Al-Jazeera Press, Damascus, 1970 AD.

63. Bougherra, Numan: Basic Terms in Text Linguistics and Discourse Analysis, Modern Book World for Publishing and Distribution, Amman, Jordan, 1st edition, 2006 AD.
64. Hoor, Muhammad Ibrahim: Humanism in Arabic Poetry, The Arab Awakening House, (D-T)
65. -Zaytouni, Abd al-Ghani: The Subjective Tendency in Pre-Islamic Poetry, Journal of the Jordanian Arabic Language Academy, No. 37, 1979 AD.
66. Abdel-Fattah, Ahmed Youssef: Reading the text and the question of culture, "The tyranny of culture and the reader's awareness of meaning shifts," The Modern World of Books, Irbid, The International Book Wall, Amman, Jordan, 1st edition, 2009 AD.
67. 58-Abdel-Fattah, Ahmed Youssef: Linguistics of Discourse and Systematics of Culture, Al-Ikhtif Publications, The Arab House of Science, Beirut, Lebanon, 2010 AD
68. 59-Obaid, Muhammad Saber: The Poetic Code of Adonis, Arab House of Science Publishers, Beirut, 1st edition, 2009 AD
69. 60-Othman, Etidal: The Aesthetics of Place, Aqlam Magazine, Issue 2, February 1986.
70. 61-Asfour, Jaber: On the Love of Literature, The Family Library, Egypt, (D, I), 2003 AD.
71. 62-Elimat, Dr. Youssef: The Cultural Pattern - A cultural reading in the formats of ancient poetry - The Modern World of Books, Irbid, The International Book Wall, Amman, Jordan, 1st edition, 2009 AD.
72. 63-Foucault, Michel: The Genealogy of Knowledge, translated by Ahmed Al-Satati, Abdel Salam Benaid Al-Aali, Toubkal Publishing House, 1st edition, 1988 AD
73. 64-Qasim, Siza: The Reader and the Text, Supreme Council of Culture, Cairo, 1st edition, 2002 AD
74. 65-Qutb, Dr. Sayyid Muhammad: The Other in Authentic Poetry, (a study in the potty of Urwa bin Hizam), a study published on the Internet: sites.google.com
75. 66- Qaisi, Dr. Nouri Hamoudi: Nature in Pre-Islamic Poetry, Revised, Dr. Muhammad bin Abdul Latif, Alam al-Kutub, Beirut, Lebanon, 1st edition, 2004 AD
76. 67-Kazim, Dr. Nader: Representations of the Other (the image of blacks in the mediated Arab imagination), the Arab Cultural Center, Beirut, Lebanon, 1st edition, 2004.
77. 68-Latif, M. Hassan Saad: Pride between oneself and the other (a reading in the poetry of Qais bin Al-Hatim), Dhi Qar University Journal, Iraq, Volume 7, Number 3, 2012 AD.
78. Lohmann, Niklas: Introduction to System Theory, translation, Youssef Fahmy Hijazi, Al-Jamal Publications, Baghdad, 1st Edition, 2010 AD.
79. Muhammad, Dr. Hanan Abu Al-Qasim: The Cultural Poetics of Al-Ansaq in the Mu'allaqa of Labeed Bin Rabia, (Cultural Critical Approach), Journal of the Faculty of Arabic Language in Assiut, Issue: 40, Part 2, 2021 AD.
80. Mahmoud, Abd al-Razzaq Khalifa: The visible and the invisible in ancient Arabic poetry, General Cultural Affairs House, Baghdad, 1st edition, 2013 AD.

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م/١٤٤٥هـ

81. Marwa, Hussein: Critical Studies in the Light of the Realistic Approach, Al-Maarif Library, Beirut, 1972 AD.
82. Mustafa, Hassiba: The Philosophical Lexicon, Osama House for Publishing and Distribution, Amman, 1st edition, 2009 AD.
83. Wahba, Murad: The Philosophical Lexicon, Dar Qubaa Al Haditha for printing and publishing, Cairo, 5th edition, 2005 AD.

مجلة العلوم الاساسية
للعلوم التربوية والنفسية وطرائق التدريس للعلوم الاساسية

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد العشرون
٢٠٢٣م/١٤٤٥هـ